

الرحمة المسيحية

حنان قوة إعلان

بقلم

د. دافيد. سي. طومبسون

ترجمة

أيمن يوسف

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى حمّاي "آرتشي ميتشيل" ، والدكتورة "آرديل فيتي" ، و"دان جيربير" ، و"روث ويلتينج" ، الذين قُتلوا معاً علي يد القوات الشيوعية في فيتنام بعد ١٩٦٢ .

لقد كرّسوا حياتهم للإهتمام بآلاف من مرضى الجذام المنبوذين في وسط غابات وجمال فيتنام.

أن إستعدادهم للمُخاطرة والتضحية بكلّ شيء لمُساعدة هؤلاء المساكين المتألمين أتاح لهم الفرصة أن يقدموا لهم المسيح ويخبروهم عن كل ما عمل وعلم به عن الرحمة.

كلمة تقدير

ما كان ممكناً أن أكتب هذا الكتاب بدون تشجيع زوجتي ريكا التي ظلت تعمل بجانبني في أفريقيا لمدة تزيد عن ثلاثة عقود وهي تعنتني بالمرضى وتظهر لتلامذتها كيف دعانا الله لنخدمهم ونهتم بهم.

واني مدين من كل قلبي لجيمس واتكينز وشيرلي بيجرز الذين عملوا معي بصبر كثير في تحرير هذا الكتاب وتصحيح الأخطاء النحوية و تركيبات الجمل وتحويلها إلى شيء واضح يمكن قرائته. أشكر صديقي الفاضل بيل جيوفانيتي راعي الكنيسة التي في ريدينج كاليفورنيا، الذي بذل الجهد الكثير ربما أكثر من أي أحد آخر كي يكون هذا الكتاب جاهزاً للنشر. كما نبّر على أن الكنيسة في أمريكا في حاجة إلى كتاب كهذا وظل يحثني على ذلك إلى أن إنتهيت منه. كما قدّم لي نصائح عملية ثمينة.

ما يهمني كثيراً في الختام أن أقدم الشكر للرب يسوع، إذ أنه الشخص الذي علّمني كل شيء أعرفه عن مساعدة المتألمين من الناس ، الذي ذكّرني مراراً بما علّمه وما فعله للمتألمين وكثيراً ما اختبرت تقويمه لي بكل لطف في الأوقات التي أكون فيها أنانياً أو متكبراً أو جافاً.

محتويات الكتاب

تقديم للدكتور بيل جيوفانيتي

مقدمة

الفصل الأول : الرحمة الحقيقية

الفصل الثاني : أية رحمة ؟

الفصل الثالث : حصان طروادة

الفصل الرابع : مقابلات عن قرب

الفصل الخامس : الشافي الوحيد

الفصل السادس : قوة الإيمان

الفصل السابع : شفاء معجزي

الفصل الثامن : أعظم خبر

الفصل التاسع : شفاء للمذلين روحياً .

الفصل العاشر : بصفتنا كنيسة.

الفصل الحادي عشر : رجاء البشرية

«الرحمة صفة لا تفرض فرضاً إنما تتدفق
بلطف كالمطر الهاديء الذي يقطر من
السماء، فيحظى المكان الذي تأتي عليه ببركة
مزدوجة، فهي تبارك من وجود بها، وكذلك
من ينالها»

وليم شكسبير

مسرحية تاجر البندقية
الفصل الرابع والمشهد الأول

تقديم

العالم لا ينقصه فاعلو الخير ، فالمجتمع الغربي يتبنى هذا الفكر ويدعمه ويدفعه قدماً . مشاهير النجوم و رياضيون و سياسيون ، يتسابقون في إتاحة فرص على أعلى مستوى للعمل الخيري ، أملين أن يكون حال العالم أفضل مما عليه . نشكر الله من أجل هذه التوجهات التي ترمي إلى مد يد العون لمن هم أقل حظاً في هذه الحياة . الأمر الذي أراه بمثابة لمحة بسيطة لإحسان الله ، وشعاع رفيع من رحمته غير المحدودة ، الصفة التي لم تزل عاملة في الإنسان (الذي خلق على صورة الله) بالرغم من طبيعته البشرية الساقطة . على الرغم من ذلك لا يوجد مستوى من التقدم المجتمعي ، يمكنه أن يؤهل إنساناً واحداً من الدخول للسماء . إن كنا ندعو أنفسنا تلاميذ للمسيح ونحمل رسالته ، فلا يسعنا سوى التطلع لما هو أبعد من هذه الحياة الحاضرة ، إلى "الحياة الأبدية" . الله جعل الأبدية في قلوبنا كما قال سليمان حكيم الدهور . نحن كائنات خالدة أما أن نكون مع الله للأبد أو بعيداً عنه إلى الأبد .

هذه الحقيقة تلقي بظلها على كل جانب من جوانب الإرسالية المسيحية . المسيحية تقدم للعالم أجمع إنجيل الغفران و حياة النعمة الفائقة وفيما بعد وجوداً في حضرة الله ، الذي عن يمينه نعم إلى الأبد .

نحن نؤمن بفاعلية محبة الله في الزمان والأبدية معاً وليست في واحدة دون الأخرى ، لكن كليهما معاً .

صديقي دافيد طومبسون يقدم ما نحن في حاجة شديدة إليه ، تصحيح صورة الرسالة المسيحية التي أصبحت مشوشة . يدعونا أن نخفف الآلام و ندعو الناس للمسيح . سنفعل خيراً لكن (كما يقول) يتعين علينا أن نفعل ما هو أكثر من ذلك ، يجب أيضاً أن ندعو العالم الذي يتضور جوعاً إلى وليمة الإنجيل . قال واعظ معمداني قديم : " لا يهمني كم من الخير تفعله ، إذا لم ينضم لكنيستك نفوس قد خلُصت ، فأنت لست مسيحياً كما يحق أن تكون "دافيد طومبسون" اكتسب الحق أن يتكلم في هذا الموضوع بعد

أن قضى أغلب سنوات عمره في إرسالية الحقل الطبي بين أفقر الفقراء وعاش حياة زاخرة بالشهادة للناس عن المخلص الأبدي "يسوع"، لذلك أصبح

د. طومبسون مؤهلاً أن يدعو الكنيسة اليوم إلى "الرحمة الحقيقية".

أصلي أن الرب يستخدم كتاب "الرحمة المسيحية" ليوقظ شعب الله من جديد حتى ترى الكنيسة أولوية الكرازة الحقيقية وإعلان انجيل المسيح المصلوب (بقوة الروح القدس)، مغلفاً في المحبة المضحية.

د. بيل جيوفانيتي

القس و الكاتب والمحاضر

كاليفورنيا ٢٠١٣

مقدمة للكاتب

تَرَكِبُ الكنائس في أمريكا لأكثر من مائة سنة على بندول، هذا البندول لم يزل

يتأرجح بين لاهوت يُشدد على أهمية إعلان الإنجيل وهو أحياناً يهمل الرحمة

والعدالة ولاهوت يُهمل إعلان الإنجيل ويُعظّم أعمال الرحمة ويكاد يصمت تماماً عن التحرير والشفاء المعجزي.

أغلبية الكتب التي صدرت مؤخراً عن موضوع الرحمة والشفقة تدعو المسيحيين الأمريكيين أن يفعلوا المزيد من مساعدة الفقراء ومساندة المظلومين والوقوف لحقوقهم و إطعام الجائعين. الأمر الذي يُؤدّ في ذهن القاريء إنطباعاً غير مقصود ألا وهو أن كل مايعنيه الإنجيل هو تحقيق السلام والعدالة على الأرض. كيفين ديونج وجريج جيلبرت كتبا في " ما هي إرسالية الكنيسة؟ " : « ما يقلقنا من كل الشغف بتجديد المدينة و الإهتمام بمشاكلها الإجتماعية أن نجازف بتهميش الشيء الذي يميز إرساليتنا المسيحية ما نفهمه من اسمها ألا وهو صنع تلاميذ للمسيح».

لكن هل نضع من جديد أساساً لعودة " الإنجيل الإجتماعي " في فترة ١٩٠٠ - ١٩٦٠، الذي أغلق قلوب الكارزين الأمريكيين تجاه المتألمين ؟ بترك تعاليم المسيح عن الشفاء والتحرير، أنعود مرة أخرى إلى "إنجيل معقلن وغير مثمر"؟ كتب الرسول بولس لأهل رومية ليؤكد ما أريد التركيز عليه (رو ١ : ١٦) « لَأْتِي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لِأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ : لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ لِأَنَّ فِيهِ مُعَلَّنٌ بَرُّ اللَّهِ بِإِيْمَانٍ، لِإِيْمَانٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ «أَمَا الْبَارُّ فَبِالْإِيْمَانِ يَحْيَا»

ما هو المقصود بالضبط بالرحمة المسيحية؟ هل هي ببساطة ما يفعله المسيحيون اليوم لمساعدة الفقراء والمشردين والجائعين؟ ألا يوجد شيء أسمى نطمح إليه؟ في هذا الكتاب سأبني موضوع الرحمة المسيحية على ما علّم به المسيح و ما فعله كنموذج لنا.

مزج المسيح أعمال محبته بالشهادة الشفوية للإنجيل بقوة روحية وإيمان. رحمته حررت المستعبدين للخطية الذين كانوا مرضى و جوعى ، في بؤس ويأس

ونقلهم للحرية والصحة والفرح والحياة. هذا النوع من الرحمة ، ما يحتاجه العالم اليوم وأي شيء أقل من ذلك ليس سوى تقليد هزيل وهش.

في الحديث عن الرحمة ، ديونج وجلبرت يركزان بكلمات واضحة على أهمية الإنجيل المنطوق به: يجب أن نتأكد أن الإنجيل (الأخبار السارة عن موت المسيح من أجل الخطية ثم قيامته الظاهرة بعد ذلك) يأخذ أولوية في كنائسنا. نريد أن تكون مهمة الكنيسة جلية وواضحة تماماً (صنع تلاميذ للمسيح لمجد الله الأب) وأن تكون ملء البصر ومركز الاهتمام وأن لا تتوه في غمر الإهتمامات والأنشطة الجذابة.

نريد أن الكنيسة تتذكر أنه يوجد ما هو أرهب من الموت الجسدي ويوجد ما هو أعظم من الإزدهار المادي. نحن نؤمن أن الكنيسة أرسلت للعالم لتشهد عن يسوع بإعلان الإنجيل و تلمذة نفوس من كل الأمم. هذه هي مهمتنا. هذا هو لب دعوتنا الفريدة. نحن ندعم بشدة خدمات الرحمة ويجب أن نفهم أن هذه المساعي تحت التصنيف اللاهوتي الصحيح وليس على حساب أولويات لها أهميتها الواضحة

التوازن بين خدمات الرحمة و مجرد الإعلان لا يكفي أن يجعلنا في توافق مع تعاليم ومثال المسيح. لكن يجب أن تكون هناك قوة في الإعلان والشفاء الذي نقدمه أقوى من الجهد البشري. ذات القوة التي كانت للمسيح وهو يشفي ويقيم من الموت ويخرج شياطين. إن كنا نريد أن نتبع المسيح، فلا يمكن ولا يجب أن نستبعد استمرارية قدرته على عمل المعجزات.

المؤمنون الذين يخدمون بأعمال الرحمة ،يحتاجون للمعرفة الكتابية المتوازنة من أجل إرشادهم وإلهامهم. دعاة حقوق الإنسان وما يستعرضونه هو في النهاية تحصيل حاصل للفشل الذي ميز الجيل السابق من المسيحيين وإعلانهم الذي افتقر للقوة الروحية. الذي لا يمكنه أن يبلغ للقياس الذي كان يسوع مثلاً له. إن لم تأسس الرحمة على يسوع الصخر " الأساس الراسخ" ، سنركب البندول الذي يتأرجح متطرفاً بين أعمال إغاثة إنسانية بدون الإنجيل أو تقديم إنجيل يخلو من الحب و يفقر للقوة. هذا هو لب الرسالة التي يقدمها كتاب " الرحمة المسيحية" . أنه موجه للمؤمن العادي ويدور مضمونه حول التعاليم و نموذج الحياة اللذين قدمهما الرب يسوع، مع شرح توضيحي مستخدماً مصطلحات معاصرة و كيفية تطبيق هذه المبادئ بصورة عملية في أيامنا هذه، كما يحتوي الكتاب أيضاً على قصص حقيقية من واقع حياتي الشخصية خلال ما اختبرته في الخمسة والثلاثين سنة التي عشتها كطبيب مرسل بين فقراء أفريقيا.

دافيد طومبسون

يناير ٢٠١٣

الفصل الأول الرحمة الحقيقية

معظم إخواننا وأخواتنا في المسيح الذين يعيشون في دول العالم النامي، يجتازون في ظروف طاحنة وفقير مدقع.

بينما تقف كنيسة الرب يسوع المسيح في أمريكا بموارد ومعرفة و إمكانيات بصورة لا نظير لها في تاريخ المسيحية. أو من أننا نقف على شفا لحظات فاصلة وأمامنا اختيار علينا أن نحسمه.

لقطات من صور الرحمة

التقطت صورة في واحدة من مستشفيات أكثر دول افريقيا جفافاً ، لفتاة حزينة و بائسة عمرها خمس سنوات سقطت من على أريكة خشبية . كان ذراعها الأيمن الممتليء بثور متورما و هامداً على جانبها. جلست في سكون تام لكن لم تستطع عيناها الحمراء المنتفخة أن تخفي آلامها العميقة. كانت قد سقطت على ذراعها، فانكسر من عشرة أيام مضت. أخذها أبوها المزارع إلى مجبر العظام في القرية ووضع شريحة خشبية حول ساعدها المكسور كجبييرة ثم ربطها بإحكام شديد للدرجة التي منعت تدفق الدم، فتورمت يداها.

حاولت أن تحتفظ برباطة جأشها وتحتمل، لكن كان الألم يفوق الاحتمال. في تلك الليلة بكت بل صرخت، لكن مجبر العظام في القرية رفض أن يفك الجبيرة مصراً أن الألم سيزول بعد وقت قليل. في الغد زال الألم فعلاً، الأمر الذي أراح والديها بالأكثر، لكن يد البنت انتفخت بدرجة مضاعفة للحجم الطبيعي وفقدت الإحساس بأصابعها تماماً. بعد بضعة أيام ظهرت البثور على ساعدها ففك أبوها الجبيرة وما قد رآه، أقنعه أنه يجب عليه أن يأخذها إلى المستشفى.

في صباح الغد التالي، مبكراً قبل طلوع الشمس . ركب الرجل وابنته الأتوبيس في إتجاه مستشفى جالمي. استغرق الطريق إلى هناك ساعة كاملة ووقفاً مع مئات المرضى المنتظرين عند باب المستشفى حتى يحين موعد الدخول. فتح الحارس الباب في الساعة الثامنة صباحاً واندفع الجمع نحو الباب وبعد أن رأى الحارس حالة البنت، حرص أن تكون من الذين تم تسجيلهم للدخول. بعد مرور ساعة من الزمن، حان دورها أن تدخل لصالة إنتظار الكشف. جاءت الممرضة لتري من منهم في حالة طارئة ، ولما رأت البنت أشارت إلى أبيها أن يأخذها إلى عيادة الجراحة.

حين جاء دورها أتى الطبيب إلى غرفة الكشف وهو يرتدي الباطو الأبيض فوق ما يبدو أنه بيجامة زرقاء.

عندما فحص ذراع البنت الصغيرة امتلأت عيناه بالرتاء والشفقة. لم يكن مستغرباً أن البنت لم تكن تشعر بيديه حين لمس يدها المنتفخة. بعد ذلك بدقيقة كنت قد وصلت إلى الغرفة فالتقطت صورة البنت. كان ذراعها بلا حياة، من الكوع إلى أسفل . أظهرت أشعة إكس أنه هناك كسور في ساعدها. لكن الكسور كانت أقل ضرراً مما سببه مجبر العظام. في ذلك المساء جاء الجراح (الذي قطع عشرة الاف ميل على نفقته الخاصة ليتطوع بممارسة مهاراته لمدة شهر) وبتز ذراعها من أسفل الكوع.

في الصباح التالي رأيت صبياً عمره خمس سنوات والأربطة حول رأسه، يرقد في غيبوبة داخل غرفة العناية المركزة. كانت جدته تجلس بجوار سريرته تضع يديها على رجلي

حفيدها راجية أن يستفيق. كان قد سقط منذ يومين في بئر عمقه عشرة أمتار وهو يحاول أن يسحب دلو الماء منه. من الواضح أن جسم الولد لا يتعدى وزنه العشرة كيلو جرام ،لذلك يبدو غريباً أن ولداً ضعيف البنية كهذا - دون سن المدرسة - يذهب ليسحب دلواً ممتلئاً ماء من قاع البئر!.

أسرعت العائلة بإحضار الصبي الصغير إلى المستشفى، حيث كان هناك جراح متطوع آخر أخذ الصبي المصاب إلى غرفة العمليات وطهر جروحه وأعاد عظمة الجمجمة المنكسرة لمكانها فلم تعد تضغط على دماغه. المريضة وجدته كانتا تراقبانه طوال الليل لكن حين حل الصباح لم يكن الولد قد استفاق بعد من غيبوبته. رفع الجميع صلاة في ذلك اليوم من أجل نجاة هذا الصبي. بينما كنت أقوم بجولة المتابعة مع الجراح في صباح اليوم التالي، فوجدنا جميعاً عندما وجدنا الصبي يفتح عينيه.

في غمرة النشوة آنذاك تحولت الأنظار برهة عن الدور المدهش والعلاج الغير متوقع الذي قام به جراح متطوع جاء من أمريكا. أدرك الناس لاحقاً أن هبات الرحمة التي غمرت هذا الصبي، مصدرها هو الله الذي غير قلوب أولئك الأطباء المهرة تغييراً جذرياً ودعاهم أن يكونوا رحماء.

لماذا نرحم الآخرين ؟

بالنسبة لكل من يتبع المسيح هناك أربعة دواعٍ على الأقل كي يكون رحيماً. **السبب الاول:** أن الله رحيم معنا. قال المسيح مثلاً عن العبد الذي كان مديوناً بمبلغ كبير لسيده . فعندما هدهد السيد بإلقاءه في السجن حتى يوفي الدين كله، خر العبد على ركبتيه وتوسل إلى سيده ملتمساً رحمته. فتحنن السيد عليه وسامحه بالدين كله . لكن بعد ذلك خرج العبد ووجد واحداً من العبيد كان مديوناً له ، فطلب منه أن يوفي الدين الذي عليه ، لكن حين توسل إليه العبد رفيقه أخذه العبد الذي سبق و قد سامحه سيده وألقى برفيقه

في السجن. عندما علم سيده بما فعله ذلك العبد (الذي كان قد أعفى عنه) مع رفيقه غضب جداً ففتح من جديد ملف مديونية ذلك العبد وألقاه في السجن حتى يوفي كل ما كان عليه.

شرح المسيح ما قصده من وراء هذا المثل: أنه ينبغي أن نكون رحماء ونصفح عن الآخرين والا لن نتمتع برحمة الرب وصفحه أو بعبارة أخرى: الموقف الذي نتخذه، سيكون له مردوده علينا ليس فقط عندما نعطي حساباً عما فعلنا عندما نقف أمامه بل في هذه الحياة أيضاً.

اليوم لدينا القوة البدنية والصحة والموارد التي بين أيدينا كي نساعد بها الآخرين لكن يوماً ما سيأتي الدور علينا عندما نصبح ضعفاء وفي حاجة لمن يساعدنا. هذا ما كان المسيح يتكلم عنه حين قال: «طوبى للرحماء لأنهم يرحمون» (متى ٥: ٧).

بطرس الرسول وهو في أوج خدمته شفى آلافاً من الناس. في قيصرية كانوا يضعون المرضى حيث يمر بطرس، لدرجة أن ظله حين يقع عليهم، كانوا يبرأون مع ذلك قال له المسيح أنه عند نهاية حياته سيكون ضعيف الجسد لدرجة أنه سيكون في حاجة لشخص آخر يمنطقه ويساعده في ارتداء ملابسه. المرض والشيخوخة ينتظران الكثيرين منا إن تأنى الرب يسوع في مجيئه ولا يستطيع أحد أن يهرب من الموت. إن كنا رحماء نحو الآخرين، سيظهر الآخرون الرحمة لنا.

السبب الثاني: الذي يجعلنا رحماء مع الآخرين هو أن الله رحيم «بأقانيمة الثلاثة». بدلاً من إهلاك الجنس البشري الذي سقط والذي يعصى الله دائماً، قرر الله أن يرسل الإبن إلى الأرض في صورة إنسان. لا يوجد في كل التاريخ البشري عمل للرحمة على الاطلاق عظيم ومكلف نظير ما فعله الرب يسوع إذ ارتضى أن يتألم ويموت على الصليب من أجل خطايانا. الأب والروح القدس أيضاً اشتركا مع الإبن كل بدوره كي ينجز ما قد فعله.

السبب الثالث: والأكثر أهمية بالنسبة لك كتلميذ للمسيح كي تكون رحيماً مع الآخرين هو أنه توجد بداخلك الطبيعة الإلهية ذاتها. ما دمت مؤمناً حقيقياً، فالروح القدس يسكن في داخلك، والرحمة تتدفق بشكل طبيعي منك، إن لم تعقها أنت.

السبب الرابع: الذي يلزمنا أن نكون رحماء مع غيرنا هو أن إرساليتنا إلى العالم هي «إظهار الرحمة»، هذه هي مهمتنا حتى يأتي المسيح ثانية . ليست لأنها الطريقة الوحيدة التي يبارك بها الله الناس بل هي الطريقة الوحيدة التي من خلالها ستسمع شعوب الأرض عن ابنه، الرب يسوع المسيح.

عمل الروح القدس

القصص التي في بداية هذا الفصل توضح الخطوات التي تهيئنا لنكون شفقين:

أولاً : أن يكون لدينا القدرة على رؤية الألم الذي يعانيه الشخص الآخر .

ثانياً : أن نشعر بالأسى والحزن على ما أصاب الشخص المتألم .

ثالثاً : أن يكون لنا القلب الذي يخلو من إدانة الآخرين .

رابعاً : أن يكون لدينا الشعور بالحاجة الطارئة لأن نأخذ موقفاً فعالاً .

كل هذه الخطوات يجب أن تعمل في قلب المؤمن بقوة الروح القدس . لكن بسبب الخوف أو لدواعي الأنانية ، كثيرون منا يعطلون عمل الروح القدس فيهم . بعض الذين لا يؤمنون بذلك قد يقولون: إن الرحمة تتبع من القلب النقي . حسناً إن الطفل الرضيع له قلب نقي لكنه لا يظهر العرفان لأمه المتألّمة من أجله حين ولدته . الطفل الصغير لا يدرك أو يلاحظ أيضاً كم تكبدت وتكلفت العائلة من الجهد والمال في تربيته في سنوات عمره الأولى .

من وجهة نظر الطفل، الآخرون قد وجدوا من أجل خدمته . لذلك الرحمة ليست نتيجة البراءة . وفقاً لتعليم المسيح، البرهان القوي على محبة الشخص لله هو أن يضع أولوية لسداد احتياجات غيره ويجد سروره في خدمة الآخرين .

هذا ما قصده الرب يسوع حين اجتمع مع تلاميذه في الليلة التي أسلم فيها وانحنى ليغسل أقدامهم ثم قال لهم: « فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأنني أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم

أيضا» (يو ١٣ : ١٤) كما قال لهم أيضاً : « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥ : ١٣).

في تاريخ العالم لا يوجد شخص تجسدت فيه الرحمة بأوضح صورها كما في الرب يسوع، المسيا الموعود به الذي سبق إشعياء وتنبأ عنه في أصحاح ٥٣ ، إذ كتبت عنه هذه الأقوال الثمينة : « من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب ، نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه . محقر ومخدول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محقر فلم نعتد به ، لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا .كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا .ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه من الضغطة ومن الدينونة أخذ . وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي .وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته .على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن في فمه غش أما الرب فسرّ بأن يسحقه بالحزن .إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تتجح . من تعب نفسه يرى ويشبع .وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها لذلك أقسم له بين الأعداء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أئمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين»

إن مصدر هذا النوع من الرحمة - والذي تحتاجه الكنيسة اليوم - لا يوجد إلا في الرب . إن كنا نريد أن نتبع مثال يسوع الرحيم، يجب أن نكون مستعدين أن نتحول عن إحباطاتنا و معاناتنا الشخصية لتنتج بصيرتنا على آلام الآخرين . لكن الرؤية وحدها لا تنتج الرحمة . ما يجب أن يحدث هو أن تتسع قلوبنا لنفعل شيئا للمتألمين .

الجراحان- الذان قرأنا عنهما في بداية هذا الفصل- يسكنان بعيداً - بمسافة عشرة آلاف ميل - عن المستشفى التي كانا يخدمان المرضى فيها بغرب أفريقيا.

حينما سمعا عن معاناة أولئك الأطفال الذين يُوتى بهم إلى تلك المستشفى وأدركا أن الناس هناك لا يعرفون شيئاً عن المسيح، لم يستخفا بالوضع بل توجهوا بسببهم. يمكننا أن نرى مناظر على شاشات التلفزيون أو مواقع الإنترنت لنفوس تتألم كل يوم. إذا تكرر هذا الأمر فأننا نعتاد على مشاهدته دون أن نتألم وغالباً ما نقوم بغير مبالاة بتغيير القناة لنشاهد قناة أخرى غيرها.

ذكر "ستيف مور" في كتابه « من هو قريبي؟ » ما أسماه "إعياء الإشفاق المستعار" فكتب ما يلي: "كلما بدا العالم صغيراً والتواصل صار أسرع، نحن في خطر أن ننتج مجتمعاً يعيش في مناخ "إعياء مزمن من الإشفاق المستعار". أقول إعياء الإشفاق المستعار لأنه لا ينتج عن تفاعل مقدمي هذه الرعاية مع من يخدمونهم دون أن يأخذوا وقتاً في تجديد قواهم بل أنه ناتج عن مجرد الإفراط في بذل الجهد. إعياء الإشفاق الحقيقي يختبره الذين ينهمكون في مساعدة الآخرين بعمق وتفاعل تحت ظروف مجهدة وقاسية تجعلهم مستهلكين نفسياً وبدنياً. ولكي يتعافوا، يحتاجوا أن يتجنبوا مصادر المعاناة و يتفادوا الضغوط وينالوا قسطاً من الراحة و قد يحتاج بعضهم إلى مشورة طبية وعلاج كي يشفى تماماً.

هؤلاء الناس يحزنون بشدة على من يساعدهم لدرجة أن ينتهي بهم الأمر إلى الحاجة لمن يساعدهم. سبب آخر يجعلنا لا نحزن على شخص آخر متألم وهو إن رأينا أن هذا الشخص يستحق هذه المعاناة و ربما نفرح بالمصيبة التي حلت عليه.

عندما تغشى وباء الإيدز في أفريقيا ، كثير من المؤمنين والكنائس عبروا عن إشمئزازهم الديني . بعض رعاة الكنائس وعظوا من على المنابر بامتعاض قائلين: إن هذا المرض ناتج عن المعاشرة الجنسية الخاطئة. إنهم محقون في ذلك بالنسبة لمعظم الحالات، بإستثناء الحالات التي تغتصب فيها النساء أو الذين انتقلت العدوى لهم من خلال نقل

الدم أو الأطفال الذين انتقل إليهم المرض عن طريق أمهاتهم خلال فترة الحمل أو الرضاعة .

للأسف كثير من المؤمنين والقسس لم يكفوا واستمروا يقولون أن مرض الإيدز هو قضاء عادل من الله، ولذا فهم معفون من مسئولية تقديم أي مساعدة للمصابين به.

"تيموثي لين" و "بول تريب" كتبا في كتابهما "العلاقات، فوضى مستحقة أن تُفعل":
«الرحمة لها عيون. أنها تعير محنتك إهتماماً وتلاحظ ضعفك وفشلك. لكن الرحمة تنظر إلى هذه الأشياء بعين الإشفاق. أنها لا تنتقدك على الظرف العصيب الذي تمر فيه ولا تدينك على خطيتك. الرحمة تريد أن تخفف معاناتك وتعفو عنك. »

هذا النوع من الرحمة ينبع من قلب الله. كما سنرى في الفصول التالية، رؤية المعاناة و إظهار مشاعر الرثاء ليس كافياً . قبل أن نأخذ موقفاً، علينا أن نُفرغ قلوبنا من الإدانة وإصدار الأحكام على الغير.

لكن عمل الروح القدس لا ينتهي هنا، لأن الوعي بالمعاناة و الشعور بالحزن ليس كافياً لإنتاج الرحمة. قبل أن نفعل شيئاً، لابد أن الروح القدس يعطينا أن ندرك خطورة الحال وضرورة إتخاذ موقف فعال يهون الآلام.

في وقت أو آخر، يكون لدينا كلنا هذه المشاعر تجاه الآخرين.مع ذلك لا يوجد شيء يمكن عمله لمساعدتهم. إن كنت يوماً في بلد فقير جداً، ربما تجد المتسولين يدنون منك ليلتمسوا طعاماً أو مالاً. إن كنت قد نشأت في أمريكا لكنت تشعر بالشفقة عليهم ، خاصة لو كانوا عرجاً أو فقد أحدهم ذراعاً أو عيناً أو يبدو عليهم سوء التغذية أو يرتدون ملابس رثة. إن كنت رقيق المشاعر ربما تشعر بحزن وترثي حالهم.

ما الذي يحدث عادة بعد ذلك؟ ربما غيظ؟ لو كنت مثلي ربما تجد تعاملك مع الموقف يحدث بشكل يثير الدهشة. قد يكون لديك ورقة فئة العشرين جنيه فقط في جيبك، شيء كثير أن تقدمه لشخص غريب. الأمر الوحيد الذي يبقى أن تفعله هو أنك تتجاهله.

لو قرأت كتاب "ستيف كوربيت" و "براين فيكرت": " عندما تكون المساعدة مؤلمة! « سوف تعرف أن عطاء بعض العملات ربما لن يغير شيئاً مع أمثال هؤلاء الناس. في الغد ، ذات الشحاذ سيظل يتسول من الناس حتى يمكنه أن يعيش. »

ربما تسألت عما إن كان الشحاذ الذي يقترب منك مأجوراً و قد يكون هناك شخص ما يمر عليه ويأخذ حصيلة ما جمع وينطلق بسيارته المرسيديس. يراودني ذلك خاطر إن أعطيت أحدهم (الذي تبدو عليه علامات ادمان الكحوليات) بعض المال ليشتري خبزاً وأتصوره يمضي ليشتري مزيداً من الخمر. كل هذه السيناريوهات قد ترد على خواطرننا وتتركنا في حالة من الإستياء والغیظ. من الواضح أن رؤية معاناة شخص آخر والشعور بالرتاء لحاله، لهو أمر يختلف عن أن تكون رحيماً.

كتب الرسول يعقوب عن هذا الأمر : «ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال .هل يقدر الإيمان أن يخلصه . إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي فقال لهما أحكمم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة » (يع ٢ : ١٤ - ١٦) أن تكون رحيماً مع المتألمين، معناه أن تجد طريقة فعالة تخفف بها آلامه. إن كان عطاء بعض الجنيهاات لشحاذ لن يغير ظروفه، إذاً ما الذي سيغيرها؟

عندما سمع الجراحان (اللذان ذكرت قصتهما في بداية هذا الفصل) عن معاناة الناس في دولة النيجر ورثوا لحالهم ، أدركا أن حل المشكلة يلزمهما أن يأخذا موقفاً عملياً وحاسماً .

أحد الجراحين ترك عمله وتحدث مع أعضاء كنيسة من أجل
تدعيمه وأخذ زوجته ليعيش ويعمل بمستشفى جالمي في النيجر.
الجراح الآخر قرر أن يقضى بالمستشفى عدة أشهر على نفقته
الخاصة.

نظراً لأن المشكلة في النيجر أكبر بكثير من إمكانياتهما لذا قررا أن
يشتركا في برنامج طويل الأجل لتدريب أطباء مسيحيين من أفريقيا
ليكونوا جراحين مؤهلين أن يخدموا مرضاهم بنفس الرحمة والشفقة
التي ملأ الرب بها قلوبهما.

«الرحمة الحقيقية تتطلب منا القدرة على رؤية متاعب الآخرين
والقدرة على الرثاء لظروفهم وأوجاعهم وأن تتنقى قلوبنا من
شوائب الإدانة و التسلح بنية العمل الفعال».

الآن سنرى كيف و لماذا تختلف الرحمة المسيحية عن ما اعتادت عليه
الكنيسة وعن ما يقوم به فاعلو الخير وأصحاب الإغاثات الإنسانية
من أجل مساعدة الناس حول العالم و سنرى لماذا هذا الإختلاف مهم
جداً من أجل كنيسة المسيح.

الفصل الثاني

أية رحمة؟

«لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طريقي يقول الرب . لأنه كما علت السموات عن الارض هكذا علت طريقي عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم» (إش ٥٥ : ٨ ، ٩)

رحلتى نحو الرحمة

ربما تتدهش إن عرفت أنه بالرغم من كوني طبيباً، لم أكن أعرف ذلك النوع الإلهي من الرحمة والإشفاق عندما وصلت لأول مرة إلى الجابون في أفريقيا كي أؤسس مستشفى مرسلي هناك.

كان قد مضى عشرون عاماً على الخدمة في المستشفى الصغير ، التي بدأتها مع زوجتي وفريق صغير من المتطوعين وذهلت يوماً عندما وجدت نفسي أدخل في مجادلة حامية مع قادة الكنيسة هناك، الناس الذين تعلقت قلوبنا بهم. أنهم نفس الرجال والنساء الذين رحبوا بنا حين أتينا إليهم من عقود مضت لمساعدتهم في تأسيس عمل طبي يخدم فقراء هذا الشعب.

في هذه السنوات الأولى كان بمعدل ثلاثة من كل خمسة أطفال في المنطقة يموتون بسبب أمراض يمكن علاجها أو الوقاية منها مثل: الملاريا، السعال الديكي، الحصبة، الدوسنتريا، والسل. كل سنة كان شلل الأطفال يصيب الآلاف مدى الحياة . وبمعدل واحدة من ثلاثين امرأة تموت أثناء عملية التوليد، كما أنه بمعدل مولود من كل عشرين مولود حديث الولادة يموت دون أن يكمل شهر من العمر.

المستشفيات الحكومية القليلة المتاحة، لديها كميات ضئيلة من الأدوية وقليل من الناس الذين يعرفون كيف يستخدمونها.

قبل أن نأتي، كان الأطباء القليلون الراغبون في ترك العاصمة لخدموا في الأقاليم كانت ذوى خبرة محدودة ولم يكونوا مدربين أو مؤهلين لإجراء جراحة طارئة مثل الفتاق المختنق، أو الإنسداد المعوى، أو إتهاب الزائدة الدودية. والممرضات تدربن في موقع عملهن فقط، تعلمن بدون كتب أو فصول دراسية.

واحد من كل عشرة بالغين كان يعانى من الفتاق والعديد منهم ماتوا عندما أصبح فتاقهم مختنقاً

في أوائل السبعينات، كان تعداد الجابون أما ثابتاً أو في معدلات الهبوط. ، كانت البلدان الخمس الفرنسية في منطقة الغرب الإستوائي (غينيا ، الجابون، الكامبيرون، جمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد)، و نظراً للأسباب السابقة كانت الجابون أقلهم من حيث الكثافة السكانية.

ورثنا مستوصفا صغيرا يقع في مدينة تعدادها لا يتعدى ٣٥٠٠ شخصاً. كان الفريق الطبي يتكون من طبيب واحد (أنا) وخمسة ممرضين مرسلين وممرض واحد أفريقي. بعد عشرين سنة كنا قد بنينا مستشفى بها ٦٠ سريراً ومتوفر بها قسم للجراحة وامراض النساء والتوليد و متابعة ما قبل الولادة ومتابعة الأمهات حديثاً و قسم الأطفال، عناية طبية شاملة للكبار و فريق تطعيم متنقل وبرنامج للصحة العامة ومعهد تمريض وثلاثة مستوصفات فرعية.

قدمت المستشفى خدمة علاجية لأكثر من عشرين ألف مريض من خلال عياداتها في السنة، وقد سمع معظمهم رسالة الإنجيل سواء في صالات الإنتظار أو في غرف الكشف أو الإقامة. في منتصف التسعينات كان الآلاف منهم يقبلون المسيح. هيئة أبحاث أوروبية كلفتها الحكومة بعمل بحث لتقييم الخدمات الطبية في الدولة أكدت أن مستشفيتنا هي الأفضل والأكثر فعالية بين المراكز الطبية في الجابون.

فجأة انطلقنا من دائرة الغموض والإبهام إلى الثناء والإحتفاء و عندها بدأ الجدال مع قادة الكنيسة.

في أحد المجامع السنوية للكنيسة قرر قادة الكنيسة أن يفرضوا على المستشفى رسوماً بنسبة ١٠% على إيراداتها من علاج المرضى . الكنيسة كانت في حاجة للمال وكثير من القسوس رأوا أن المستشفى لا تساهم كما ينبغي في مصروفات الكنيسة حتى بالرغم من تقديمها الخدمات الطبية مجاناً لرعاة الكنائس والمبشرين وعائلاتهم.

ولو كانت المستشفى مزدهرة مالياً لكننا رضخنا، لكننا وضعنا أقل الأسعار بقدر الإمكان، كي نوفر العلاج اللازم لأفقر مريض . إننا بالكاد نغطي تكاليف ونفقات المستشفى. لكننا التزمنا بما طلبته الكنيسة. كانت المستشفى قادرة على المواصلة لأن الإرسالية كانت تدفع مرتباتنا ونفقات إقامتنا وبعض الهيئات الأخرى كانت تساهم في الدعم المالي. إن أخذت الكنيسة عشرة بالمئة من الدخل فقد يلزم أن نُقلص خدماتنا ونستغنى عن بعض العاملين ونكف عن علاج غير القادرين. لم أكن راغباً في فعل واحدة من هذه.

بدأ النقاش هادئاً ثم اشتد واحتد بسرعة . كلا الطرفين كان يعرض حججه بتأثر متزايد

وعلى مدار عدة أشهر ، استنقد التوتر بسبب هذا الموضوع قوتنا . كنت مقتنعاً أن رجال الكنيسة على خطأ لاعتقادي ان هذا سيؤثر سلبا على الفقراء لذا قررت أنا وزوجتي أن نستقيل .

في صباح أحد الأيام قبل أن أخرج للعمل كنت أصلي وأنا أراقب طلوع الشمس وكنت أسأل الرب أن يعيننا على وداعهم . لكنه فاجأني بسؤال: هل تعلم ما هو رأيي بشأن هذا الجدل؟ قرأت الكتاب المقدس من الغلاف إلى الغلاف على الأقل عشرين مرة ولم أثق مرة في الناس الذين يقولون لي: " الرب قال لي كذا و كذا " خصوصاً عندما رأيت مسيحيين حينما يتجادلون وتحدد المشاعر وتُشدُّ الأعصاب يبدؤون في إقتباس جزء من الكتاب المقدس في مواجهة الطرف الآخر مدعين بأن لديهم كلمة من الله . الآن الله يسألني إن كنت أعرف ما هو فكره تجاه هذا الأمر . ظننت أن الرب سيوبخني لكوني عنيداً . عندما بدأت أفكر في السؤال ، بدأ فجأة سيل من الآيات والقصص الكتابية ينصب في رأسي . سحبت قلماً وبدأت أكتب وكلما كتبت أكثر كلما أدركت أنني لم ادرس بدقة من قبل ما يقوله الله في الكتاب المقدس عن الرحمة والإشفاق .

أمنت بالمسيح منذ أن كنت طفلاً صغيراً وسمعت دعوة الرب لي للعمل الطبي المرسلي حين كان عمري أربع عشر سنة ثم درست لمدة اربع عشر سنة لأصير طبيباً وجراحاً وقرأت أكثر من ثلاثين كتاباً كتبوا بواسطة أطباء مرسلين . إستمعت إلى آلاف العظات من الكتاب المقدس وفي تلك الأثناء كنت أعمل كطبيب مرسل في أفريقيا لمدة

عشرين سنة، لكن لم أفكر أبداً في دراسة الكتاب المقدس بشكل نظامي لأرى ما يقوله الله عن الرحمة والتحنن والإشفاق.

في كل مرة احتجت فيها أن أتخذ قراراً هاماً ومؤثراً يتعلق بعملتي وخدمتي صليت وطلبت من الرب حكمة ثم فعلت ما يبدو أنه الأفضل. إيماني بشأن كيفية أدائي لخدمة الإشفاق على المرضى والإحسان إلى الفقراء خلال هذه السنوات كان كمجموعة من الكشافات المضيئة واللوحات الواضحة التي بزغت من أماكن متنوعة. بعضها كان متوافقاً معاً وبعضها لم يكن في محله.

الآن بعد أن صرت في مواجهة مع موضوع لم يسبق لي أن واجهته من قبل ، لم يكن واضحاً لي تماماً أي على حق كأني واقف على أرض صلبة . إن شعوري الداخلي بالفطرة يقول لي: إنني على حق لكن ما الذي جعل إحساسي الشخصي أفضل مما للآخرين؟

مع نهاية الأسبوع كنت قد أعددت دراسة لاهوتية أولية عن موضوع "الحنان والرحمة" بنيتها على أساس النموذج الذي تركه لنا الرب يسوع بما قد عمله وعلم به.

كنت أعرف أن المسيح قدم خدمات شفاء عظيمة خلال فترة خدمته في حياته، لكن فانتني كم من المرات الكثيرة التي فيها علم تلاميذه عن هذه الخدمات. الكتاب المقدس يمتليء بالإشارات التي تبين رغبة الله أن يكون أبنائه رحماء كما أنه هو رحيم. لكنني لم أكن الحظ معظمها. الدراسة المبدئية التي قمت بها بلغت العشر ورقات. في نهايتها راجعت الرؤية الأصلية للكنيسة التي هي خدمة المساكين، ثم كتبت قائمة كبيرة بكل المعجزات التي فعلها الله ليحقق تلك الأمنية. في

الأسبوع التالي قدت السيارة مسافة ٣٥٠ ميلا إلى العاصمة وسلمت أوراقى إلى المسئول الأول عن الكنيسة في الجابون.

في الصباح التالي إتصل بي وقال لي: إنه هو وباقي القادة يحتاجون مزيداً من الوقت لدراسة أوراقى. اقترح علي أن ألتقي به في مكتبه صباح اليوم التالي وعندما ذهبت وجدت قادة الكنيسة في انتظاري. كان الإرهاق بادياً على وجوههم وعلمت لاحقاً أنهم قضوا الليلة الماضية كلها في مناقشة ما كتبتة.

بدأ المسئول الأكبر كلامه معي بصوت هادىء: « هذا صعب علينا يا دكتور لأننا كلنا قادة ورعاة كنائس ، قد درسنا في كليات اللاهوت و نعلم الكتاب المقدس أسبوعيا لشعبنا. ، مع ذلك...» صمت برهة وتتنح ثم قال «... يا دكتور» ثم صمت لحظات أخرى وأظن أنه أراد أن يتأكد أنني استوعبت أنني لست من أهل المعرفة الكتابية، كما أنني لست لاهوتياً . هكذا ظننت ما يفكر به، ثم استطرده بقوله: « لقد درسنا كل الآيات التي اقتبستها في أوراقك عن الطريقة التي يجب على الكنيسة أن تساعد بها المرضى واستخدام المال الذي يقدمونه و يجب أن نعترف..» توقف عن الكلام مرة أخرى وهو يتلملم و يعبث بقلمه ثم قال: « يجب ان نعترف انك على حق في هذا الأمر».

في البداية كنت مصدوماً لدرجة أنني لم أجد شيئاً أقوله فأومأت برأسي، مجتهداً أن أحبس دموعي. استمر يشرح لي كيف كانوا ينظرون إلى المستشفى باعتباره مشروع استثماري تملكه الكنيسة ونسوا ما دعاهم الله أن يفعلوه. عندما بدأوا قراءة الأوراق التي كتبتها تذكروا كيف بدأنا العمل معاً كما تذكروا أيضاً أن المسيح لم يشفِ

المرضى أبداً من أجل مقابل مادي ولم يعلم تلاميذه ابداً بأن يفعلوا هكذا أيضاً.

كما أعترف في حديثه أيضاً بأن الكنيسة لم تساهم بشيء من أجل المستشفى بالرغم من أنها تنتسب للكنيسة وأن كل قسوسها و عائلاتهم ينتفعون بالرعاية الصحية في المستشفى مجاناً. لقد تمخضوا بهذه الخدمة إلى أن ولدت لکنهم لم يراعوها بعد ذلك.

في الختام ، تنازل قادة الكنيسة عن مطالبتهم تكليف المستشفى بدفع ١٠% من إيراداتها بل طلبوا من كنائسهم أن يساهموا بدورهم تجاه المستشفى حتى يمكننا تقديم رعاية أفضل بالمرضى. من تلك اللحظة استعادت الكنيسة ملكيتها لخدمة التحنن على المرضى. صحيح أنه مساهماتهم لم تكن أبداً كبيرة لكنها لم تخل من تضحية.

إنها واحدة من القرارات المشجعة في حياتي التي شهدتها في حقل العمل المرسلي. هؤلاء الأفارقة الأتقياء الذين أظهروا تواضعاً كهذا أمام طبيب أمريكي لم يلتحق يوماً بكلية لاهوت ورجعوا عن قرارهم وأعلنوا لشعوب كنائسهم أن الأمر الذي له الأهمية ليس " تقليد الكنيسة" و ما اعتادت الكنيسة فعله ولا المزيد من المال لتتفق على مصروفاتها لكن ما يهم بالأكثر هو طاعة الله وخدمة المرضى بطريقة الله.

هذا الصراع صنع تغييراً في تفكيري مدى الحياة وألزماني أن أمتحن كل ما أفعله كطبيب مرسل. سراج البحث الذي استخدمته لأراجع مواقفي وأعمالي وتوجهات قلبي لم يعد بعد ذلك "ضوء كشاف" فاعلو الخير وأهل الإغاثة الإنسانية ولا غيرهم بل نور كلمة الله الثابتة.

إنقاذ حياة

لم يمضِ وقت طويل على قيامي بعملية إدخال إنبوبة حنجرية لطفل عمره أربعة عشر شهرا و الذي كان مصاباً بأنيميا حادة بسبب الملاريا وغائباً عن الوعي ويلهث من صعوبة التنفس، فأدخلت أنبوبة بلاستيكية عبر حباله الصوتية الصغيرة ثم القصبة الهوائية لكي أُدخل الأوكسجين النقي إلى رئتيه ، طفيليات الملاريا فجّرت آلاف خلايا الدم الحمراء في كافة أنحاء جسمه و في دماغه. العروق في يديه وذراعيه وأقدامه جميعها منقبضة وقلبه لم يكن يضخ الدم الكافي لرئتيه، لذا الأوكسجين الذي يصل إلى رئتيه لم يكن يعمل شيئاً لمساعدته على التنفس . لم أقدر أن أجد مسارا وريديا نحو العروق المنقبضة في يديه ورجليه واستمرت حياة الطفل في التدهور التدريجي. كل دقيقة تمر تجعل الوضع أكثر حساسية وخطورة . جازفت وحقنت الإبرة عميقاً في رقبته نحو الوريد الداخلي الذي فيها وعلقت بسرعة كيس محلول ومررته بسرعة . في غضون دقائق إزدادت نسبة الدم في جسم الولد بدرجة كافية لتملأ قلبه وتغزي الدورة الدموية في الرئتين والكبد والكلى والمخ.

في خلال دقائق قليلة استعاد جسم الطفل لونه ودفئه وأستقر تنفسه. ثم قمنا بإعطائه كيس دم لنعوض خلايا الدم الحمراء التي فقدتها وحقنته بجرعة كينين(عقار لعلاج الملاريا) في الوريد للقضاء على طفيليات الملاريا التي في الدم. وزودت الجولوكوز لوقايتها من نقص السكر في الدم. مع صباح اليوم التالي كان الولد يقظاً ويلعب على سريريه. هل أنقذنا حياة هذا الولد؟ معظم الناس يتفقون أننا فعلنا ذلك؟

لكني قد أجادلهم وأقول إننا لم نفعل ذلك. باستخدام المعرفة التي أعطانا الله إياها، أعاننا أن نجعل حياته تستمر ،أملين أن تدوم لوقت أطول.

بينما لا يوجد أحد يعلم كم من العمر سيعيش لكن ما هو أكيد أنه يوماً ما خلال السبعين سنة القادمة تقريباً سيموت. كما نعلم جميعاً سواء فكرنا في هذا الأمر أو تجاهلناه فلا يوجد أحد سيعيش للأبد هنا على هذا الكوكب.

عندما أنشأنا مستشفى بونجولو في جنوب الجابون، أتى إلينا مريض اسمه ماهندي و أجريت أول عملية جراحية لعلاج من الفتاق. كل الناس أظهروا إمتنانا وشكراً أن العملية تمت بنجاح واستعاد المريض عافيته سريعاً.

عاش ماهندي عمراً طويلاً بعد إجراء هذه العملية، لكن بالرغم من ما فعلته كي أنقذه من الموت بسبب عسر الفتاق المخنوق ، لكنه في النهاية مات بسبب آخر. قرأت مرة عن رجل ينتظر حكم الإعدام والمقرر أن يُعدم بحقنة مميتة بسبب ارتكابه جريمة قتل. قبل ميعاد تنفيذ الحكم بأسابيع عديدة ، مرض مرضاً شديداً ونقل إلى المستشفى لكي " تنقذ " حياته . بعد مرور شهر من ذلك الموقف ذات الأشخاص الذين نقلوه لكي يُعالج هم أنفسهم الذين نفذوا حكم إعدامه بالحقن القاتل. إن قلنا إن منقذي إعدام هذا الرجل قد سبق لهم و أنقذوا حياته بالعلاج الطبي، يكون كالأما لا معنى له!

اعتاد الناس أن يطلقوا على إطالة الحياة لبضعة سنوات أخرى أو حتى أيام قليلة أنه " إنقاذ حياة ". هذا أمر لا يستهان به. لأنها تجعل الرحمة تبرز كما أثمرت بإنشاء عدد كبير جداً من الجمعيات والهيئات

الخيرية (المنظمات الغير حكومية) في كل أنحاء العالم. يتم تمويلها وتعبئتها بعدد كبير من الموظفين مدفوعي الأجر والمتطوعين الذين يأملون في توفير حال أفضل للجنس البشري. هذه الهيئات الخيرية في الغالب معظمها هيئات مسيحية. لكن في سنة ١٩٩٤ أعلنت جمعية الصليب الأحمر بياناً بأنها هيئة إغاثة إنسانية ليس أكثر، وسارت في ذات التيار مئات من الهيئات الخيرية العلمانية.

من قرن مضى كنا نسمي بذل الجهود لمساعدة المتألمين هو أن " نكون رحماء " من عقود عديدة مضت تغير المصطلح ليكون " عمل الإغاثة" ا الهيئات العالمية العلمانية الآن مثل " الصليب الأحمر"، "الهلال الأحمر"، "أطباء بلا حدود"، " أوكسفام" وغيرها صارت لها الصدارة ونصيب الأسد في أعمال الإغاثة الطارئة حول العالم تحت شعار " إنقاذ حياة الناس ". اما المنظمات المسيحية مثل "محفظة السامري Samaritan's Purse " و" رؤية العالم World Vision " و"إغاثة العالم World Relief " و"طعام الجائعين Food for the Hungry" لم تزل تقوم بدور هام لكن الور المتزايد على المستوى العالمي هو الأعمال الخيرية للنجوم و المشاهير وهيئات الإغاثة العلمانية المعترف بها من الحكومات و هي التي تتصدر المشهد العام وتنال إعجاب العالم.

عبر العقدين الماضيين كانت هذه الهيئات المسيحية ترسخ لمعايير الرحمة في العالم. ما حدث و بسرعة شديدة، و لم يستوعبه الكثيرون أن البساط سُحب من تحتنا شيئاً فشيئاً. العالم الذي نعيش فيه الآن ابتعد تماماً عن الرحمة المسيحية ليقف على رمال الرحمة

العلمانية المتزحزحة. أنه لأمر خطير وهام أن ندرك أن هذا النوع من الرحمة الذي يقدمه العالم، لا يُكرم الله لكنه يعظم ويمجد الإنسان .

لماذا يعتبر هذا الموضوع له أهميته بالنسبة للمؤمنين اليوم؟ كتب "كرستيان باكلي" و"راين دوبسون" في كتاب: "يسوع رجل إنسانية، العدالة الاجتماعية والصليب":

« الحوار السياسي والاجتماعي فيما يتعلّق بالدين يعيد التركيز بصورة كبيرة على فكرة أننا يمكن أن نتحد كلنا معاً على الحب والرحمة وتحسين أحوال البشر . لا غرابة أن نجد الكنيسة المسيحية تختبر أنهاض الإنجيل الاجتماعي على مستوى إجتماعات وقادة وأفراد و مجموعات "غير هادفة للربح" ليعملوا إستثماراً إجتماعياً له شأنه في مجتمعاتهم و حول العالم. "عمل الخير" هو سلعة جديدة في سوق العمل الخيري و الشركات العالمية».

في الفصل التالي سنتناول هذا الموضوع بأكثر تدقيق "عمل الخير" في إطار الدوائر الخيرية والإستثمارية وسنعرف سبب إنخراط المسيحيون في هذه الدوائر.

نموذج العمل الإنساني

عندما وصلت أنا و زوجتي إلى جنوب الجابون في ١٩٧٧ للبدء في المشروع الذي أصبح فيما بعد مستشفى بونجولو ، بدأنا بمستوصف صغير ذى ثلاث غرف وجناح من الطوب اللبن بستّة عشر سريراً مليئاً بالقمل. الحيطان الطينية تُفرك بمجرد اللمس، لم يكن هناك سقف ، ولا ماء، أو كهرباء، وكلّ صباح كان يتعين علي أفراد عائلات المرضى أن يأتوا بالماء من النهر القريب.

في غضون أسابيع من وصولنا، كان وباء الحصبة متفشياً ، كلّ الأسرة التي لدينا قد امتلأت بسرعة بأطفال يموتون.. لقد مهّد هذا الوباء بعد شهرين من انتشاره إلى إنتشار السعال الديكي وشلل الأطفال. لمدة ستّة شهور، والكوارث الصحية تكتسح و نصف الأطفال ماتوا. في الوقت الذي تمكنا فيه من جلب تطعيمات من أوروبا وقمنا بتطعيم الأطفال في كلّ قرية لنغطي مساحة نصف قطرها ١٦٠ كيلو متر، كان حوالي خمسمائة طفلاً قد ماتوا.

كان هذا منذ ثلاثين سنة مضت. اليوم لدينا مباني من طوب أسمنتي وبلاط في الأرضيات وكهرباء ٢٤ ساعة و مياه معالجة وخدمات طبية عديدة وعدد الوفيات أقل جداً . وللأسف الآن تنتشر موجة من الأمراض المميتة سواء للأطفال أو البالغين والتي يصعب السيطرة عليها.

في أحد الأيام ، استدعتني إحدى ممرضاتنا إلى غرفة الطوارئ لأرى شاباً، وجدت عنده وربما ضخماً في البطن بعد أن فحصته، كان لدي بعض الشكّ أن عنده وربما خبيثاً في الكبد ، في حالة متأخرة. كان يعاني من ألم حاد وكان الوهن بادياً عليه لدرجة أنني لا أعتقد أنه سيعيش أكثر من أسابيع قليلة ثم تأكدت من صحة تشخيصي بعد أن قمنا بعمل أشعة موجات فوق الصوتية على البطن.

حاولت أن أطلعه هو وأبواه بالأخبار السيئة بكل لطف وأخبرتهم أن كل ما في وسعي فعله هو محاولة تسكين الألم. من فرط الذهول لم يستطع أبواه النطق بكلمة. أم الشاب جلست على الأرض وبدأت في الصراخ وأبوه كان يجتهد أن يتكلم محاولاً ضبط مشاعره ثم قال لي

بهمس متهدج : " لكن يا دكتور أنت أملنا الأخير . " تركته يتكلم وأنا لا أعرف ما الذي يمكن قوله وأنا مخبط بسبب عجزى أن أفعل شيئاً

قال أبو الشاب لي باكيا: " كل الناس قالوا لي إنك أنت هو الحل الأفضل ، لذا أتينا إلى هنا ، لقد قطعنا ثلاثة أيام في السفر لنأتي إليك ألا يوجد شيء يمكنك أن تفعله لإبنا؟ " هزرت رأسي بحزن وتمنيت أن أختفي . ابتداء الشاب يجهش بالبكاء أيضاً . كان هناك حشد من المرضى المتعاطفين من صالة الإنتظار المجاورة قد تسللوا للغرفة . كانت على بطن الولد خدوش وندوب طولية في أماكن كثيرة ، حيث كان المداوي المشعوذ يبذل أقصى ما بوسعه ليعرف مَنْ مِنَ العائلة أو المنطقة قد جلب اللعنة على هذا الشاب . أخذ المداوي كل أموالهم من أجل تعويذة عديمة الجدوى . ها أنا أيضاً عاجز عن مساعدته . شرحت لابيه وأمه مرة أخرى أن الورم منتشر وفي مرحلة متأخرة . لم يكن عندنا معالجة بالإشعاع أو علاج كيميائي لتغيير مسار الورم ، وإذا استأصلت الكبد فسوف يموت في الحال . الشيء الوحيد الذي يمكن أن نفعله له هو تسكين الألم .

حينئذ صممت كل الأسرة . لم تجد رحلتهم المجهدة والمكلفة إلى هنا شيئاً . أخذت ملف الولد وبدأت أكتب التقرير الكئيب عن الحالة . شرحت - وأنا اكتب - بنبرة المتخصص أنني سأسجل إقامته بالمستشفى ليتناول مسكنات الألم . يمكنه أن يقيم المدة التي يريد لها لكن ستكون التكلفة ما يعادل عشرين دولار يومياً .

عندما سمعوا ذلك طرف الرجل بعينيه و زوجته وقفت مكانها . لم يقولوا شيئاً لكنني قرأت ما تعبر عنه وجوههما : عشرين دولار ؟؟ لماذا؟ .

قال الرجل أخيراً : "إن لم ترد مساعدتنا سنذهب لمكان آخر". أو مات زوجته برأسها تأييداً لكلامه. أعطيتهما مسكناً للألم عن طريق الفم من أجل ابنتهما وودعتهما ثم خرجت من الغرفة.

طار النوم من عيني في تلك الليلة. لقد كنت من الناحية الإنسانية طيباً ، لكنني خيبت أمل مريض أرسله الله إليّ. لكن ما هو أسوأ هو أنني لم أعرف السبب. هل سبق وشعرت بهذا الإحساس عندما حاولت أن تساعد شخصاً متألماً؟

كتب لوري جاريت في يناير / فبراير ٢٠٠٧ موضوع الشؤون الخارجية:

لأول مرة في التاريخ، يستعد العالم لإنفاق موارد هائلة للتغلب على أمراض الفقراء أصبح تناول أمراض دول العالم النامي سمة أساسية من سمات العديد من السياسات الخارجية الدول على مدى السنوات الخمس الماضية، لمجموعة متنوعة من الأسباب. البعض يرى أن وقف انتشار فيروس نقص المناعة البشرية - الإيدز - (HIV) والسل (TB)، الملاريا، وأنفلونزا الطيور، والأمراض القاتلة الرئيسية الأخرى يعتبر واجب إنساني وأخلاقي. . يرى البعض أنها شكل من أشكال الدبلوماسية العامة. ويرى البعض الآخر أنه استثمار في الحماية الذاتية، نظراً لأن الميكروبات لا تعرف الحدود. وقد انضمت مع الحكومات قائمة كبيرة من المتبرعين الافراد ، وعلى رأسهم بيل وميليندا جيتس ووارن بافيت، وتعد مساهماتهم المالية في محاربة الأمراض كبيرة للغاية. و بفضل جهودهم المشكورة ، هناك الآن مليارات الدولارات المتاحة للإنفاق الصحي و الآلاف من المنظمات غير الحكومية

(NGOs) و المجموعات الخيرية تتنافس على إنفاقها. تستمر هذه المبادرات في نمو متزايد بالرغم من التراجع الملحوظ في الاقتصاد العالمي.

أكبر سبع منظمات إنسانية في العالم اليوم هي:

١. اللجنة الدولية للصليب الأحمر (ICRC)
٢. المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR)
٣. مفوضية الأمم المتحدة العليا لحقوق الإنسان (مفوضية حقوق الإنسان-UNHCHR)
٤. الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر (IFRC)
٥. المنظمة الدولية للهجرة (IOM)
٦. صندوق الأمم المتحدة للطفولة (UNICEF)
٧. قسم الشؤون الإنسانية (DHA)

هذه ليست سوى قائمة قصيرة من عشرات الآلاف من المنظمات التي انتشرت في جميع أنحاء العالم لمساعدة المحتاجين. واحدة من أعلى المنظمات تخصصاً اليوم هي أطباء بلا حدود ، بدأت هذه الجهود الإنسانية الطبية في أوروبا في عام ١٩٧١ بعدد قليل من الأطباء المتطوعين الذين كانوا على استعداد للانتقال إلى أماكن نائية وخطرة لمساعدة المرضى. منظمة أطباء بلا حدود اليوم بها آلاف من المتطوعين والعاملين بأجر في أكثر من ثمان عشر دولة. من سنوات قليلة ، تشجعت ببيان قرأته على موقع منظمة أطباء بلا حدود الرسمي ، كتبه طبيب قال فيه: "هناك القليل جدا من الرعاية

المتاحة وأن الموقف الأخلاقي الوحيد الواجب اتخاذه هو العمل ".
كنت أتساءل في نفسي عما إذا كانت منظمة أطباء بلا حدود،
مسيحية أم لا. وكنت أقرأ في ميثاق منظمة أطباء بلا حدود حتى إلى
العبارة الثانية والثالثة:

قرار منظمة أطباء بلا حدود للتدخل في أي بلد أو أزمة يستند فقط
على إجراء تقييم مستقل لاحتياجات الناس، وليس على المصالح
السياسية والاقتصادية، أو الدينية. ويتعهد الأعضاء بالتمسك بالمبدأ
المهني والأخلاقي والحفاظ على الاستقلال التام عن جميع القوى
السياسية أو الاقتصادية أو الدينية.

أنتيت على منظمة أطباء بلا حدود وعلى روح الإشفاق لديهم،
ولكن خاب ألمي عند قراءة ما جاء في ميثاقها أنها تسعى للبقاء
كمنظمة إنسانية علمانية بحتة ، ترفض المبادئ الدينية كأساس
لخدماتها. لنأخذ لحظات لقراءة المبادئ السبع الأساسية للصليب
الأحمر المذكورة أدناه : " بصفتنا أعضاء في الحركة الدولية للصليب
الأحمر والهلال الأحمر، والصليب الأحمر الأمريكي وجمعيات
وطنية أخرى يجب أن يكون لنا دور رئيسي في التمسك والالتزام
بالمبادئ الأساسية السبعة:

١ . الإنسانية : إن الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال
الأحمر، وُجدت من أجل تقديم المساعدة للجرحى في ساحة المعركة
دون تمييز ، وتسعى ، بكل قدرتها الدولية و الوطنية ، لمنع و تخفيف
المعاناة الإنسانية أينما وجدت . هادفة إلى حماية الحياة والصحة
و ضمان احترام الإنسان وتشجع على التفاهم المتبادل والصدقة و
التعاون والسلام الدائم بين جميع الشعوب.

٢ . **الحياد** : الذي يضمن أن لا يكون هناك أي تفرقة على أساس الجنسية أو العرق أو المعتقدات الدينية أو الطبقة الاجتماعية أو الآراء السياسية كما تسعى إلى تخفيف معاناة الأفراد ، مسترشدة بمعايير لقياس احتياجاتهم، وإعطاء الأولوية للحالات الأكثر إلحاحا.

٣ . **الحياد** : من أجل الاستمرار في التمتع بثقة الجميع، و الحركة لا تتحاز إلى الأعمال العدائية أو الانخراط في الخلافات ذات الطابع السياسي أو العنصري أو الديني أو الأيديولوجي.

٤ . **الاستقلال** : الحركة مستقلة عن المجتمعات الوطنية ، بينما يخضع المساعدون في الخدمات الإنسانية لقوانين بلدانهم ، ويجب أن تحافظ على استقلالها حتى تكون قادرة في كل الأوقات أن تتصرف وفقا لمبادئ الحركة .

٥ . **الخدمة التطوعية** : أنها حركة إغاثة تطوعية لا تسعى بأي شكل من الأشكال لتحقيق الربح.

٦ . **الوحدة** : يمكن أن يكون في دولة واحدة الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر. ويجب أن تكون المنظمة متاحة للجميع و تؤدي عملها الإنساني في جميع أنحاء البلاد.

٧ . **العالمية** : الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر لها مكانة متساوية و مشاركة متساوية للمسؤوليات والواجبات في مساعدة بعضها البعض، في جميع أنحاء العالم . هذه هي المبادئ الجديرة بالثناء و توازي في بعض النواحي تعاليم و مثال المسيح. معظمهم قد يكون مشتركاً من قبل بعض الديانات في العالم:

ومع ذلك، فإنها تختلف في ثلاث نواحي هامة جدا عن ما علم به المسيح :

١ . إهتمامهم بالناس وتفكيرهم ينتهي عند القبر ولا يهتمهم ما بعد ذلك.
٢ . لايعترفون بالتأثير الإلهي بل أن الله لا يوجد في حساباتهم أو عملهم.

٣ . يقدمون الإنسان بصفته الفاعل المؤثر الوحيد في عالم مشوه بشكل مأساوي . تنبع هذه المبادئ الإنسانية من مصدرين متناقضين : الكتاب المقدس و أسلوب فكري علماني يركز على أي شيء موجود في الكون بصرف النظر عن الله نفسه ، بما في ذلك العالم المادي . الإعتقاد العلماني وله الآن نفوذه و أصبح الاعتراض عليه يمثل خطراً يعوق الدور المهني. إذا كان هناك شيء لا يمكن قياسه علمياً أو يختبر بوحدة أو أكثر من الحواس الخمس ، فلا يمكن أن يعتبر جزءاً من " المادة " ، أو العالم الحقيقي.

التزواج بين تعاليم الكتاب المقدس عن الرحمة و النظام الإنساني العلماني هو وارد نظراً لأن الحركة الإنسانية العلمانية قد ابتلعت الأولى وإعادت صياغتها بمسمياتها الخاصة.

غالبية المهنيين الطبيين الذين تعلموا في جامعات العالم العلمانية يقبلون السبعة مبادئ الإنسانية للصليب الأحمر ، فضلاً عن ميثاق الطبيب الخاص بمنظمة أطباء بلا حدود أن : «هناك القليل جداً من الرعاية المتاحة وأن الموقف الأخلاقي الوحيد الواجب اتخاذه هو العمل»

أما الحركات الإنسانية العلمانية فهي بعيدة حتى عن بيان الطبيب بمنظمة أطباء بلا حدود.

وإذا كانت مبررات مساعدة الضعفاء هي مجرد دواعي أخلاقية ، لماذا إذاً يريد المسيحيون إعتناقها؟ إنه من السهل القول إن الحركة الإنسانية

الحديثة لا يحركها دوافع إحادية يزعم أنصارها أنه يجب أن نتبعها، ولكنها ببساطة نبعت عن طريق إستحسان الأمور بالفطرة، وقد استقاها الغرب من التراث المسيحي . المسيحيون الذين يتبنون النموذج الإنساني من الرأفة والرحمة لم يختاروا نموذجا أكثر عقلانية أو أكثر قابلية للتطبيق، ولكنه يتناقض مع نفسه أولا ثم مع الإيمان بوجود إله محب.

الطب الغربي الإحادي

تخرجت من جامعة بيتسبرج كطبيب في ١٩٧٣ . خلال سنوات الدراسة في الجامعة، قيل لي إن دراستي تبنى على أساس عظيم يسمي المنهج العلمي، الذي لا يزال يعرف اليوم باسم "طريقة التحقق و تنطوي على الملاحظة والنظرية لاختبار الفرضيات العلمية " الدراسات العلمية التي أجريت على أساس هذا المبدأ اكتشفت طرق جديدة وأفضل لعلاج الاصابة والمرض. هذه الفعالية في تمييز الأمور تفسر في الواقع لماذا أصبح المنهج العلمي نبراس البحوث الغربية الحديثة والطب. في نفس الوقت،الإيمان بالإعلان الإلهي في الكتاب المقدس عن أصل الحياة والبشر، ووجود العالم الروحي، وسقوط الإنسان، وعواقب الخطية المأساوية على الجنس البشري في التاريخ للاسف قد حل محلها آراء تستبعد الله من الصورة.

ومن المثير للاهتمام، أن العلوم الحديثة، كما نعرفها، لم تُكتشف من قبل اليونانيين والصينيين، أو العرب، بل من قبل العلماء المسيحيين البارزين في أوروبا الغربية خلال القرن السابع عشر. وقد أشار رودني ستارك في كتابه، لمجد الله، وكيف أدت الرهينة للإصلاح، ثم العلوم، ثم نهاية الرق. إن الأدلة على أن العلم

الحديث ظهر في القرن السابع عشر في أوروبا الغربية أمر لا جدال فيه. وقال أيضاً ، "المسيحية رأت الله أنه كائن عقلائي، متجاوب، ومقدر وأهل للإستناد عليه وأن الكون يعد خايقته الشخصية. طور المسيحيون العلم لأنهم يؤمنون أنه مستطاع وأنه ضروري الحدوث. عندما كنت طالباً في كلية الطب درست علم التشريح البشري وعلم الفسيولوجي "علم وظائف الأعضاء" ،بتفصيل شديد. كلما تعلمت أكثر، كلما زادت دهشتي في كيفية تكوين جسم الإنسان بصورة رائعة ومريعة. خلال سنتي الثالثة في كلية الطب ، أخذت ثلاثة أشهر كدورة عملية في التوليد و أمراض النساء . في يوم ما ، كثير منا رأى أخصائي التوليد وهو يشفط الجنين الحي خارج رحم المرأة بواسطة جهاز خاص لذلك، مزق جهاز الشفط جنيناً إرباً وألقوا أجزائه في وعاء من البلاستيك بالقرب من أقدامنا. و البروفيسير الذي قام بالعملية شرح بهدوء وأوضح كيف يؤدي العمل بصورة قانونية ، مثل هذا الإجراء يحسب خيراً للمجتمع. وجود طريقة منظمة للتخلص من جنين غير مرغوب فيه من قبل المرأة من خلال عملية يقوم بها مختصون مدربون جيداً في غرفة عمليات معقمة لهو أمر يوفر حلاً شافياً لإحدى المشكلات الإجتماعية الغير سارة.

في ذلك الحين ، كان الأكثر ذكراً بين مبررات الاجهاض ليس كون الطفل مشوهاً أو لأنه سيعرض حياة الأم للخطر بل لأن الطفل غير مرغوب فيه أو جاء في وقت غير مناسب. الأمر الذي لا علاقة له بالعلم بل أن فكرة إجراء الإجهاض لصالح المجتمع لهو إحدى الأركان الإلحادية في العمل الطبي بالغرب.

في مؤتمر متخصص للجراحة في عام ٢٠٠٧ في نيو أورلينز، ذهلت

لسماع محاضر متميز من البرازيل يدعي أنه عندما أُجريت حالات إجهاض كثيرة في البرازيل، أصبحت جرائم القتل أقل مما كانت عليه. مفترضاً أن الأطفال غير المرغوب فيهم لهم علاقة بنسبة ما بجرائم القتل، لذلك قتلهم في بطون أمهاتهم قبل الولادة أمر جيد بالنسبة للمجتمع. كنت على وشك الوقوف لأناقشه في هذا الأمر، ولكن وصل الاجتماع للحظة منحه جائزة لإنجازاته المتميزة في الطب. بعض الحضور بدا عليهم فهمهم لهذا الادعاء أنه لا يتعارض مع المبادئ العلمية. لا مجال في ضوء المنهج العلمي لمناقشة كوننا اليوم نعيش في وضع متطور ومتفوق عن الأجنة. لقد ولدنا أولاً حين سمح أبائنا أن نعيش ثم امتلكننا الإرادة التي تقرر الاحتفاظ بالأجنة أو لا حسب ما يوافق راحتنا ومصالحنا الشخصية.

في العقود الثلاثة التي تلت تشريع إباحة الإجهاض في الولايات المتحدة، تضخم عدد الأطفال المجهضين إلى أكثر من مليون طفل في السنة. بين ١٩٧٣ و ٢٠٠٨، أُجريت أكثر من خمسين مليون عملية إجهاض في الولايات المتحدة. بالمباينة مع ما ادعى الجراح البرازيلي الشهير أنه اكتشفه في بلاده، منذ أن أصبحت حالات الإجهاض شرعية في الولايات المتحدة في ١٩٧٣، حوادث الاعتداء على الأطفال والقتل زادت بصورة رهيبه. كم من الأجنة الذين لو عاشوا لمن المحتمل أن يكونوا في يوما ما جهاذة في علم الرياضيات أو علماء موهوبين أو أطباء شفوقين، أو معلمين حكماء، أو جنوداً شجعان، أو حتى فائزون بجائزة نوبل وقد تم الإلقاء بهم في سلال نفايات المستشفيات ليحرقوا بعد ذلك في الأفران الكبيرة؟ إذا

كان الطبّ الغربي الإلحادي غير مقبول منطقياً ولا أخلاقياً، فكيف يقبله العديد من المتخصصين المسيحيين دون أي مجادلة؟
أثناء دوراتي التدريبية الأخيرة في كلية الطب، تعلّمت حقيقة مهمة أخرى: أنه غير مقبول من الناحية المهنية لطبيب أن يتكلم عن الله مع مريض يحتضر. تختلف الأسباب وراء ذلك لكن تتعلق بشكل رئيسي على أمرين:

أولاً : يبدو الأمر غير عادل وبالتبعية غير أخلاقي

ثانياً : لأنه غير علمي، حيث أن الله لا يمكن إثباته وإخثاره بالعلم. على حد علمي ، لا يوجد أحد بعد قادر على دراسة شخصية الله بالطريقة العلمية. على أية حال، في عالمنا اليوم ، سنعتبر مخطئاً إن إعتقدت ذلك. لماذا؟ لأنه إن كان الله لا يمكن أن يقاس بالطريقة العلمية، فهو فقط موجود في خيال البشر. ونحن أيضاً لا نستطيع إثبات وجود العقل الإنساني بالإنفصال عن الدماغ ، لكن البعض من الغباء ليظن أنه غير موجود.

هناك وضع واحد فقط يحسب العلم الحديث فيه أن للإيمان بالله منفعة، وذلك عندما يثبت أن إيمان المريض بالله يرفع من معنوياته. لأنه يجعل الإيمان كعكاز مفيد ومهدئ جيد من روع الموت. نظراً لأن الذين نفوسهم هشة هم فقط الذين يحتاجونه، لذا الإيمان بالله لا يمثل أي تهديد إلى الطبّ الغربي الإلحادي. مع نهاية كليّة الطب، فهمت جيداً أنه إن أردت أن أكون "رجل علم معتبر" يجب أن لا أخط الدين بالدور المهني. في الحقيقة أردت أن أكون طبيباً متميزاً، لذا لفترة معينة حرصت على أن لا أتكلّم مع أيّ من المرضى عن الله.

لم يكلفني الأمر كثيراً من الجهد أن أعتاد على جعل حياتي الروحية ومعتقداتي الشخصية منفصلة عن ممارستي لمهنتي الطبية. يمكنني أن أكون مؤمناً في البيت وملحداً في العمل. مع ذلك في نهاية الأمر، فإن الضلال الفكري والفقر الروحي للطب الغربي الإلحادي جعلاني أعود وأتمسك بالنموذج المسيحي الذي عاشه يسوع. الطب الغربي الإلحادي لم يقدم لي حجة مقنعة لإظهار الشفقة. بل وجدت أنه يعزز الأنانية ويبرر الوحشية. أما أصحاب الطب الغربي اللذين يعطون لله اعتباره دائماً يرحبون بأن تكون يد الله معهم ، لكن خلال العقود القليلة الماضية صار الأخير رهينة من قبل الملحدين. لم يعد يعطي جواباً شافياً لمريض يحتضر وأخفق في حماية أولئك الذين يعتبرهم المجتمع عبئاً ثقيلاً ، كما فشل أن يكون مرجعاً أخلاقياً ثابتاً للمؤمنين الذين يريدون أن يخدموا المرضى بحنان وإشفاق.

الفصل الثالث حصان طروادة

«في ذلك الزمان أرسل برودخ بلادان بن بلادان ملك بابل رسائل وهدية إلى حزقيا لأنه سمع أن حزقيا قد مرض. فسمع لهم حزقيا وأراهم كل بيت ذخائره والفضة والذهب والاطياب والزيت الطيب وكل بيت أسلحته وكل ما وجد في خزائنه. لم يكن شيء لم يرهم إياه حزقيا في بيته وفي كل سلطنته» (٢ مل ٢٠ : ١٢ ، ١٣)

ان قصة حصان طروادة كتبها هوميروس من ألفي عام تقريبا في إلياذة هوميروس. لا أحد يعرف عما إذا كانت القصة حقيقية أم من نسج الخيال. ، لكنها إحدى القصص التي لها شهرة كبيرة في الأدب الغربي. وقعت أحداث القصة أثناء حرب دامت لوقت طويل بين اليونانيين و أهل طروادة. على الرغم من فترة الحصار التي دامت ما يقرب من عشر سنوات و دارت خلالها العديد من المعارك الشرسة، كان اليونانيون عاجزين عن فتح مدينة طروادة . في صباح يوم ما عند شروق الشمس ، فوجيء أهل طروادة بأن الجيش اليوناني على ما يبدو قد انصرف بعيدا عنهم، وتركوا حصاناً خشبياً هائلاً خارج الباب الرئيسي للمدينة. علم أهل طروادة أن اليونانيين قد مضوا وهم يجرون أذيال الهزيمة وتركوا الحصان الخشبي قرباناً لآلهتهم. فتح الشعب البوابة الأمامية بعد أن تأكدوا أن الأسطول اليوناني قد ولى من المشهد وقاموا بسحب الحصان الخشبي إلى الداخل. في تلك الليلة عاد الجيش اليوناني سراً. حيث كان شعب طروادة يحتفلون بانتصارهم، وهذا ما حدث بالضبط؛ ثلاثون محارباً منتخبا كانوا مختبئين داخل الحصان الخشبي، تسللوا منه وقاموا بفتح كل أبواب المدينة. فتح اليونانيون طروادة وصار أهلها عبيداً لهم. بسبب هذه القصة أصبح " حصان طروادة" يعني الهدية التي يرحب بها في البيت أو القلب ثم تتحول إلى عدو مدمر.

في عالم الكمبيوتر؛ حصان طروادة Trojan horse يصنف "malware" المصطلح الذي يعني "البرمجيات الخبيثة"، لتوصيف برنامج يبدو أنه مفيد لكنه يحتوي على تعليمات خفية التي عند تفعيلها، تؤدي إلى إجراء ما يضر بالجهاز (كما يدمر ملفات البيانات).

عندما تكون الرعاية الصحية مشروعاً تجارياً

ذكرت في الفصل الثاني كيف كان معتقداً بين قادة الكنيسة لفترة من الزمن أن الكنيسة التي تتبعها المستشفى التي كنت أديرها سيكون لخيرها إن تحولت إلى مشروع تجاري يدر دخلاً. نموذج "الرعاية الصحية كمشروع تجاري" يستهوي بشكل كبير المستشفيات التي تديرها الكنائس في دول العالم النامي، و بصفة خاصة في أفريقيا. إذ رأى القادة أن الرعاية الصحية كمشروع تجاري لا يحسب أمر غير مسيحي، لذا ما الذي يمنع ممارسته باسم الكنيسة؟

في عام ٢٠٠٦، قمت بزيارة أحد هذه المستشفيات في أفريقيا. في صباح يوم احد جلست في كنيسة صغيرة في حرم المستشفى مع حوالي مائة موظفاً و عائلاتهم. كان الترنيم عذباً، وصوت الترنيم ترددت أصداؤه عبر حرم المستشفى و عبر نوافذ العنابر المفتوحة وربما بلغ الصوت إلى الباب الرئيسي أمام قسم الطوارئ الذي تم تحديثه مؤخراً، وهو المكان الذي عادة ما يُحمل إليه الرجال والنساء والأطفال الذين ينزفون و يُسمع منه صوت البكاء من الألم بسبب تعسر الولادة أو نزيف من إصابات الحوادث . كانت التراتيل تشكيلة من التسابيح الكلاسيكية للإيمان المسيحي مكتوبة باللغة المحلية. كنت مرفوعاً وفرحاً ، حيث يبدو أن العاملين بهذه المستشفى يحبون الرب يسوع المسيح.

في اليوم التالي قمت بزيارة قسم الطوارئ وعلمت أنه عندما يصل المرضى إلى هناك، يُحملون بلطف على أسرة حديثة ومتحركة مفروشة بملاءة نظيفة و تحت رعاية طاقم من ممرضات يرتدين الزي الأبيض كانت المهمة الأولى للممرضات ، بعد القيام بالمهام الطبية المعتادة هو حساب تكلفة علاج المريض. إن كانت العائلة لديها الموارد المادية اللازمة لدفع حساب الرعاية الصحية للمريض في الحال ، يبدأون على الفور في تقديم خدمات الطوارئ المعتادة والمهنية. ولكن، إذا كان المريض ليس لديه ما يكفي لدفع نسبة كبيرة من التكاليف المتوقعة بالمستشفى نقدا وقبل الدخول ، فلدى الممرضات تعليمات واضحة لوقف جميع الخدمات حتى يتم سداد المبلغ المطلوب. إذا قالت العائلة إنها غير قادرة على الدفع، يطلب منهم استدعاء سيارة أجرة لنقل مريضهم إلى مكان آخر. تطبق هذه السياسة في جميع إدارات المستشفى . في إحدى الليالي خلال زيارتي ، وجدت امرأة شابة في جناح النساء والتوليد تعاني من الولادة المتعسرة . فقد كانت ولادتها الأولى ، كانت رأس الطفل كبيرة نسبياً وكان حوضها أصغر من أن يسمح بأن تمر رأسه من قناة الولادة . وقالت أنها كانت في آلام المخاض لأكثر من أربع وعشرين ساعة و أصابها الجفاف والإعياء الكامل ، مع النزيف. كانت في حاجة إلى نقل دم طارئ وإلى إجراء عملية قيصرية.

للأسف، لم يكن لعائلتها من المال إلا ما يكفي لدفع ثمن كيس واحد فقط من المحاليل الطبية . القابلات اللاتي تحت رعايتهن هذه الفتاة أغلقن المحلول إلى بضع قطرات صغيرة ومضين بعيدا. على الرغم من توسلات الأسرة للرحمة، رفضن القيام بأي شيء آخر حتى تدفع العائلة التكلفة الكاملة للعملية القيصرية. أجابت العائلة أنه ليس لديهم المبلغ المطلوب

لكنهم سوف يبذلون قصارى جهدهم في جمعه من الأقارب والمعارف، من القريب والبعيد. في صباح اليوم التالي اكتشف جراح زميل لي المرأة الشابة ترقد غائبة عن الوعي في بركة من الدماء . بعد أن أذهله ما قد رآه قام بدفع فاتورة المرأة، وأمر بإعطاءها المحاليل الوريدية ونقل الدم، وهرع بها إلى غرفة العمليات لإجراء عملية قيصرية طارئة. ولّد طفل حي ولكنه يعاني من الاكتئاب الشديد. توفيت الأم بعد بضع ساعات من صدمة لا رجعة فيها ، وبعد بضع ساعات مات الطفل أيضاً. أُلقت المستشفى باللوم على الأسرة لفشلها في تدبير المال في الوقت المناسب. عندما سأل صديقي المسؤولين بالمستشفى كيف أنهم كانوا قساة لهذه الدرجة ، فأجابوا أنه لم يكن لديهم خيار آخر. إذا عاملوا هذا الشعب دون مطالبة بالدفع مقدما، فلن يكون للمستشفى ما يكفي من المال لدفع ثمن الأدوية أو دفع رواتب موظفيها. وإذا لم تدفع للموظفين سيستقيلوا، و سوف تُعلق المستشفى. سياسة هذه المستشفى فرضتها الضرورة، وهذه السياسة مدعومة من قبل الطائفة التي تمتلك المستشفى. علمت لاحقا أن الطائفة تتدخل بشكل مباشر و روتيني على الحساب المصرفي الخاص بالمستشفى عندما تحتاج إلى أموال، مما يحد من قدرة المستشفى على رعاية الفقراء. في الأشهر التي تلت ذلك، شهد زميلي ما هو أسوأ ، المرضى الذين تركوا ينزفون حتى الموت في غرفة الطوارئ بينما كانت الممرضات في مكاتبهن تتجاذبن أطراف الحديث. لا غرابة إذاً ، إن كانت مشاعر أفراد المجتمع الذي تخدمه المستشفى (معظمهم مسلمون) أما الغضب أوالياس.

وهذه ليست المستشفى الوحيد الذى يتبع هذا النهج بل إن العديد من المستشفيات المسيحية في أفريقيا اتبعت هذا النهج التجاري من قبل

الطوائف التي أنشأتها حتى يتمكنوا من تطبيق " الاكتفاء الذاتي " ، هذه المستشفيات مستمرة في تسمية خدماتها الطبية " الخدمات التي تقدمها الكنيسة. " وقد نجحت هذه المستشفيات في مساعدة قادة طائفتها وتغطية ميزانيات الطائفة ، ولكن على حساب التضحية بالفقراء . هل هذا ما علم يسوع به تلاميذه؟

عندما إتخذ شعب إسرائيل موقفا مماثلا تجاه المساكين ، تكلم الله لهم على لسان إشعيا النبي ، ورسم لهم سكة النجاة : « لَا تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ . الْبَحُورُ هُوَ مَكْرَهَةٌ لِي . رَأْسُ الشَّهْرِ وَالسَّبْتُ وَنَدَاءُ الْمَخْفَلِ لَسْتُ أُطِيقُ الْإِثْمَ وَالْاعْتِكَافَ . رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَعْضَتَهَا نَفْسِي . صَارَتْ عَلَيَّ ثِقَلًا . مَلَلْتُ حَمَلَهَا . فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ ، وَإِنْ كَثُرْتُمْ الصَّلَاةَ لَا أَسْمَعُ . أَيْدِيكُمْ مَلَانَةٌ دَمًا اِغْتَسَلُوا . تَنَقَّوْا . اِغْزَلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ . كُفُّوا عَنِ فِعْلِ الشَّرِّ تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ . اظْلُبُوا الْحَقَّ . انصِفُوا الْمَظْلُومَ . اقضُوا لِلْيَتِيمِ . حَامُوا عَنِ الْأَرْمَلَةِ . » (إشعيا ١ : ١٣-١٧)

الرسوم التي يدفعها المرضى للحصول على الرعاية الصحية يخدم غرضاً واحداً ألا وهو توفير الخدمات الطبية الرحيمة لهم و ضمان أن هناك موارد متاحة لإسعاف مريض الأزمات الطارئة. يختلف الأمر تماماً عن مسألة استخدام تلك الرسوم لدفع مرتبات القساوسة والإداريين ، أو لتسديد ميزانيات الكنيسة. وسط كل هذا سيبقى الإيمان الثمين هو الأكثر قيمة وبدونه يستحيل إرضاء الله ؟ قال يسوع لتلاميذه : «إِسْأَلُوا تُعْطَوْا . اظْلُبُوا تَجِدُوا . اِقْرَعُوا يُفْتَحَ لَكُمْ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ ، وَمَنْ يَفْرَعُ يُفْتَحَ لَهُ » (متى ٧ : ٧-٨) قال ذلك بكل جدية.

نموذج الرعاية الصحية كمشروع تجاري من جانب خدمات الرحمة التي ترعاها الكنيسة ليس له سند في الكتاب المقدس. ما علمه يسوع كان عكس ذلك تماماً. في متى ١٠: ٨ قال لتلاميذه: «إشْفُوا مَرَضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَانًا أَخَذْتُمْ، مَجَانًا أَعْطُوا». كما لم يشر في أي موضع على أتباعه بأن يقوموا بإنشاء مؤسسات باسمه لعلاج الأثرياء و إهمال الفقراء!

التعليم الخاص بالرحمة للمساكين يملأ كل العهد القديم كبرهان على التقوى « مَنْ يُعْطِي الْفَقِيرَ لَا يَحْتَاجُ، وَلِمَنْ يَحْجِبُ عَنْهُ عَيْنَيْهِ لَعْنَاتٌ كَثِيرَةٌ. » (أمثال ٢٨ : ٢٧). «الصِّدِّيقُ يَعْرِفُ دَعْوَى الْفُقَرَاءِ، أَمَا الشَّرِيرُ فَلَا يَفْهَمُ مَعْرِفَةً.» (أمثال ٢٩ : ٧).

نفس فكرة حضان طروادة، و هي جاذبية الفكرة التي تتبعها الكنائس أنه يمكنها تحقيق ربح من معالجة المرضى بأي طريقة فهو مبرر يبدو جيداً ، ولكنه يزرع بذور الرياء والقسوة.

الإنجيل الاجتماعي

حضان طروادة الثاني للمسيحيين اليوم هو إحياء التعليم اللاهوتي عن الإنجيل الاجتماعي الذي أصبح معروفا في وقت مبكر من القرن العشرين. وقد لخص جون ستوت أصل و أسباب هذه الحركة في كتابه "القضايا التي تواجه المسيحيين اليوم" :

كان المتحدث الأكثر شعبية باسمهم هو والتر روسكنبش، الذي كان أستاذ تاريخ الكنيسة في كلية روتشستر ، نيويورك، ١٨٩٧-١٩١٧. عقد مباحنة بين الكرازة القديمة "بخلاص الفرد" لكي يدخل السماء و الكرازة الجديدة "بملكوت الله". وكتب: " ليست المسألة في حصول الأفراد على السماء ، ولكن في تغيير الحياة على الأرض لتكون في توافق مع السماء.

كثيرون من الوعاظ الأكثر تأثيراً في إنجلترا والولايات المتحدة روجوا لفكرة الانجيل الاجتماعي. وقد طغت فكرة التوجه لسد الإحتياج الأشمل للمجتمع كله على أن يتغير ليكون على الحالة الألفية المذكورة في سفر الرؤيا ص ٢٠ على التعليم المتعلق بالتوبة و الإيمان بالمسيح وحده.

في المقدمة التي كتبها عن الإنجيل الاجتماعي في أمريكا ، والتي نُشرت في عام ١٩٦٦، لخص روبرت هاندي هذه الحركة على النحو التالي : أنها حركة معقدة و ديناميكية في التاريخ، والإنجيل الاجتماعي تم التعبير عنه بأشكال مختلفة من قبل العديد من قادة الأجيال ، مع ذلك يمكن صياغة مضمونه بعبارات وجيزة. فهو يشمل الإقتناع بأن المبادئ الاجتماعية من سجل تاريخ يسوع يمكن أن تعتبر كدليل للحياة الشخصية و الحياة الاجتماعية في أي عصر. لب تعاليمه - هكذا يؤمن هؤلاء المسيحيون الاجتماعيون الليبراليون - ينبر على اقتراب الله و خير الإنسان و ملكوت الله على الأرض.

المتحدثون عن الإنجيل الاجتماعي يتوقعون ذلك، من خلال جهود الرجال ذوي النوايا الحسنة ، فإن ملكوت الله سيحل قريباً ويكون حقيقة واقعية، حاملاً معه التوافق المجتمعي و القضاء على الظلم الاجتماعي من خلال مجهودات أدبية محددة يمكن أن يعجلوا بها يوم حلول إمبراطورية القانون و الحب؛ " ملكوت الله على الأرض "

هذه الحركة القويّة كان لها مردودها المؤسف عملياً على أهمية الإعلان الشفوي للإنجيل.

في أمريكا الشمالية وعلى الحقول المرسلية حول العالم فبعد أن كانت الكرازة بالإنجيل هي الهدف الرئيسي سابقاً إنتقل التركيز بشكل تدريجي

إلى الخدمة المتخصصة والشفوقة المضحية والمحسنة للفقراء لكن بدون شهادة شفوية بالإنجيل.

التحول عن الكرازة بالإنجيل الذي صار ببساطة من أجل تجسيد الإنجيل من خلال أعمال الرحمة لم يمر هكذا بدون ملاحظة. فالعديد من القادة المسيحيين شجبوا الحركة، ومنهم المبشر بول رادار الذي رفع التقرير التالي إلى إجتماع كنيسته السنوي ١٩١٢-١٩١٣ ، والرابطة المسيحية المرسلية : «إنجيل الرب يسوع المسيح ليس له أن يأخذ الدور الثانوي في أيّ مستشفى، أو مدرسة أو مشروع حضري. إنّ انجيل الله العظيم له الدور الريادي. يفتح الطريق، يحرق الشقوق، يزرع البذار. ثمّ يأتي بعده دور المستشفيات، المدارس المشروعات الحضارية . انظر ما فعله العدو إذ أخذ العربية ذات الأربع عجلات الجيدة جدا من المستشفيات، المدارس، الحضارة، والعلم، ووضعهم بإتقان أمام الحصان بدلا من خلفه هكذا فعل أصحاب حركة الإنجيل الاجتماعي، إذ جعلوا الكرازة الشفهية بالإنجيل ثانوية وركزوا في المقام الأول على الجوانب الإجتماعية»

بعض الذين يخدمون في المستشفيات المسيحية رحّبوا بهذه الأفكار لأنها تريح ضمائرهم من التثقل بالكرازة للمرضى بجانب معالجتهم.

الأخصائيون و المرسلون في الحقل الطبي المشغولون بمهام كثيرة ، يمكنهم الآن أن يركّزوا على ما قد تدرّبوا عليه ليعملوه ألا وهو ممارسة الطب بالأسلوب الغربي.

في غضون سنوات قليلة أصبح رعاة الكنائس والمبشرون يصنفون في مقام أو رتبة أدنى من المديرين ، والمحاسبين ، الأطباء الاخصائيين . فهم يدعون فقط للصلاة من أجل المرضى ويتكلمون معهم على انفراد ، لكن دون أن يتدخّلوا في أداء الأطباء، أو فريق التمريض أو المحاسبين

طالما يستحسن الآخرون ما يفعلونه ويرونه.

في عام ١٩٢١، كتب جون هورش (مؤرخ من المينونايت) في التحرر الديني الحديث:

تتضمّن وجهة النظر الجديدة للعمل المرسلي التركيز في المقام الأول على الإنجيل الاجتماعي. بدلا من أن يركز على خلاص الأفراد بواسطة الإيمان بالرب يسوع المسيح، يسعى لخلاص المجتمع من خلال رفع مستواه الحضاري والقيام بحركة إصلاح اجتماعي من جوانب وزوايا متعددة. في غضون بضعة عقود، كانت المستشفيات التابعة للمذاهب البروتستانتية الرئيسية في أوروبا وأمريكا الشمالية قد كَفَّت بالتمام عن تقديم رسالة الإنجيل بصورة شفوية للمرضى.

بحلول ١٩٢٠، كانت مئات المستشفيات والعيادات المسيحية حول العالم قد وقع فيها الضرر. في فترة الخمسينات، أصبحت أغلب المستشفيات البروتستانتية في أمريكا الشمالية علمانية في كل شيء ما عدا الاسم. الأسوأ من ذلك، تأرجح البندول في إتجاه الجهود الإنسانية - بعيدا عن المسيحية- لإصلاح العالم حتى الآن و تحولت الكنائس عن ذلك الخط المستقيم حتى صارت تقاوم خدمات الرحمة في الكنيسة البروتستانتية لمدة قرن تقريبا.

تتبع ستيف كوربيت وبرايان فيكرت في كتابهما "عندما تكون المساعدة مؤلمة" تراجع خدمات الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية للفقراء في الولايات المتحدة فكتبوا: الانجيليون فسروا تصاعد حركة الإنجيل الاجتماعي، التي تبدو على قدم المساواة مع جميع الجهود الإنسانية لتهيئة حلول الملكوت باعتبارها انحرافاً لاهوتياً للأمة. كما حاول الإنجيليون أن يبنوا بأنفسهم عن حركة الإنجيل الاجتماعي، فانتهى بهم المطاف إلى أن أخروا أنفسهم

جداً عن الإسراع بتخفيف معاناة الفقراء . هذا التحول السريع والملحوظ عن الفقراء دفع المؤرخون في تاريخ الكنيسة أن يطلقوا على الثلاثة العقود الأولى من القرن العشرين " التحويلة العكسية الكبرى" في تعامل الكنيسة الإنجيلية مع المعضلات الإجتماعية

هذا الهجر الحادث لخدمة الفقراء من قبل الإنجيليين الأمريكيين والذي وصفه كوربيت، وفيكتر بأنه "قلة تقدير للأركان الشاملة لملكوت الله " كان لها العواقب التي من شأنها أن تهز العالم خلال الحرب الأهلية في رواندا عندما فعلت القبيلة ذات الأغلبية العرقية في الدولة أقصى ما في وسعها لإبادة للقبيلة خصمتها. كوربيت وفيكتر كتبا: عواقب هذا الإنجيل المبتور كانت مدمرة في دوائر الأغلبية على وجه العموم في العالم و في أفريقيا على وجه الخصوص.

وربما خير مثال على ذلك هو رواندا. بالرغم من حقيقة أن ٨٠ في المئة من الروانديين يدعون أنهم مسيحيون لكن حين اندلعت الحرب الأهلية الدامية في عام ١٩٩٤ قام الهوتو الذين يمثلون الأغلبية بإبادة جماعية وحشية ضد الأقلية من التوتسي والهوتو الوسطيين و حصدت هذه الحرب على مدى ثلاثة أشهر، ما يقرب من ٨٠٠،٠٠٠ قتيل ، الغالبية العظمى منهم كانوا من التوتسي.

ركز انجل ودرابينيس في كتابهما حول المذبحة الرواندية : "إلى أي مدى أخطأنا؟" أنه قبل وقوع المذبحة كانت الكنيسة الرواندية صامتة على مثل هذه القضايا المصيرية الخطيرة ككرامة وقيمة الإنسان الذي خلق على صورة الله.

بريان ماكلارين في كتابه "يجب أن يتغير كل شيء " وصف لقاءاً لخمسة وخمسين قسيساً رواندياً ،عقد بعد مذبحة ١٩٩٤ بعدة سنوات.

معظمهم كانوا من قبائل الهوتو والتوتسي. القس الذي كان يتولى قيادة اللقاء سأل زملاءه القسس إذا كان أي منهم قد سمع واعظاً في أي وقت مضى " يعظ ولو مرة واحدة يدعو شعب التوتسي أن يحب ويتصالح مع شعب الهوتو، أو واعظ من الهوتو يدعو إلى الحب والمصالحة مع التوتسي. اثنان فقط من القسوس رفعا أيديهما واعترفا بأنهما قد وعظا تلك العظات فقط بعد حدوث المجزرة.

في وقت لاحق اقتبس ماكلارين في كتابه؛ شكوى من أحد الشباب العاملين في الرعاية الصحية في رواندا متعلقة بموقف كنيسته المحلية هناك :

لقد تخصصت في التعامل مع " الاحتياجات الروحية " مستبعدة الإحتياجات المادية والإجتماعية ليقصر تعاملها مع الناس على مصير الإنسان بعد الموت وتجاهلت الأمور المتعلقة بالحياة الحاضرة مثل الظلم الإجتماعي. ركزت الكنيسة على كل ما يتعلق بالفرد وحياته الروحية والأبدية وأخفقت في التعامل مع الواقع المجتمعي والضغط السائدة في حياتهم من ظلم وفقر وأزمات بيئية متنوعة.

كان رأى ماكلارين أن رسالة " الإنجيل " يلزم أن تكون لها فعالية أكثر من هذا. وينبغي أن يكون " نموذج الإيمان المسيحي حيويًا وشاملاً، لا يتجزأ، ومتوازناً يقدم الأخبار السارة للذين على قيد الحياة وللذين يحتضرون و يخبر عن فعالية نعمة الله سواء فيما يتعلق بالحياة الأبدية أو الحياة الحاضرة، على مستوى الفرد و المجتمع و العالم أجمع.

عند هذا القول أتفق معه قلباً وقالباً، لكن ماكلارين دفع البندول بقوة للخلف صوب الإنجيل الإجتماعي القديم. بالنظر إلى العنف والإرتباك و الفساد والظلم في العالم طلب ما ينبغي عمله بخصوص الفوضى

الحادثة بيننا فقال: "يسوع أتى ليكون مخلص العالم بمعنى أنه جاء ليخلص الأرض من كل ما تحويه من دمار جاري بسبب شرور البشر. عبر حياته وتعاليمه وآلامه وموته وقيامته استودع البشر عطية النعمة والحق والرجاء التي لا يمكن أن تقهر أبداً. هذه العطية يمكنها أن تنتصر على كل صور المقاومة والشر والظلم الذي يصدر من البشر وتقود إلى تغيير العالم ليكون على الصورة التي يريدّها الله. كلّ من يجد الرجاء والحق الإلهي في يسوع سيكتشف إمتياز المشاركة في عمله المستمر للتغيير والتحرير من الشر والمظالم على الصعيد الفردي والعالمي. أحد صور التغيير الذي يجري على مستوى المجتمع أن الناس يختبرون تحريراً من الخوف، من الموت و الدينونة. هذا ليس شيئاً يكتسبونه أو ينجزون، لكن بالأحرى عطية مجانية ينالونها كتعبير عن نعمة الله ومحبه "

دفع ماكلارين البندول بأكثر قوة في إتجاه الإنجيل الإجتماعي القديم فقال: " الكتاب المقدس هو قصّة شراكة بين الله والإنسانية لخلص وتغيير كلّ المجتمع البشري و تفادي الدمار الذاتي العالمي . وإن كان هناك بادرة أمل لدي أي شخص فإن الأقوال التالية جعلت هذا الأمل يبهت ويتلاشى.

"الحركات الدينية (المسيحية) الأصولية. . . تأخذ كلمات قد نُطق بها منذ خمس مائة سنة أو ألف سنة أو ألفي سنة وتطبقها على غرار الشريعة، كما لو أنها كانت تهدف لتكون بمثابة دستور أو كتالوج. هم بذلك يسيئون تقدير وضع الكلمات والتعاليم الأصلية . إن هذه النصوص المقدسة لها جذورها في أرضية المشاكل المعاصرة والثقافة والخلفية البشرية، على خلاف ذلك هم يرون أن تلك النصوص المقدسة لا علاقة لها بالزمان أو

المكان. كما لو كان هذا المنطوق أتى إلينا من الفضاء القاحل المنعزل
كلية عن الكون. هذا التفكير الساذج شائع ومقبول من كثيرين للدرجة التي
يكون من الصعب فيها أن تلوم من يتبعه."

بنى ماكلارين دعوته للعودة إلى الإنجيل الاجتماعي ليس على الكتاب
المقدس ، لكن على قدرته الخاصة على التمييز بين "إدراك الحقيقة"
و "السذاجة". نتائج الإنجيل الاجتماعي جعلت المسيحية تتأرجح على
مدى مائة سنة تقريباً، السبب الأكبر هو موقف القادة المسيحيين من
الإنجيل الاجتماعي الذي إقتنعوا به منذ عام ١٩١٠.

عندما أدرك شعب الله مؤخراً خطأهم ، كان رد فعلهم قوياً في الإتجاه
المعاكس فجعلوا البندول يتأرجح من جديد.

إحدى أغراض هذا الكتاب أن يتوقّف هذا البندول اللاهوتي من التآرجح
يميناً ويساراً. لذا يحتاج المؤمنون في هذا العصر أن يضعوا إيمانهم على
الأساس الراسخ وهو شخص الرب يسوع المسيح وتعاليمه، وليس فقط على
الجوانب المتعلقة بأعمال الرحمة التي يستحسنونها !

نحتاج أن ندرك بأننا نعيش في عالم يتفاخر بتأسيس المنظمات
والمجموعات الدينية المتنوعة التي تعمل معاً تحت مظلة واحدة لمحاربة
المشاكل مثل الأيدز، و الفقر ، والجوع، وأمراض إجتماعية أخرى لكن
حين يعلن طريق الخلاص كما أعلنه الكتاب « ليس بأحد غيره
الخلاص .لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي
أن نخلص » (أعمال ٤ : ١٢) تقوم زوبعة من الإنتقادات.

التجربة الشديدة التي يتعرض لها المؤمنون المنخرطون في أنشطة
خيرية و خدمات رحمة أنهم يلزمون الصمت من أجل أ استمرار الإنسجام
مع الآخرين .حدّر المسيح تلاميذه من هذه المشكلة بصفة خاصة :

«تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل
سيفاً» (متى ١٠ : ٣٤)

إذا كان جل طموحاتنا أن نجعل الناس سعداء، ولا نعثر أحداً، ونهمل
الضياع الروحي، فنحن في نهاية المطاف نقدم خدمة لشخص آخر غير
الرب يسوع المسيح.

صلى الرب يسوع من أجل تلاميذه في العلية قائلاً: « كما أرسلتني
إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم» (يوحنا ١٧ : ١٨)، وبعد موته وقيامته،
قال لتلاميذه: «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا» (يوحنا ٢٠ : ٢١). بهاتين
العبارتين جعل إرساليتنا على خط التوازي مع إرساليته. وتعليقاً على
هاتين الآيتين، كتب جون ستوت في الإرسالية المسيحية: عمل المسيح
أكثر من مجرد إظهار توافق إرساليتنا مع إرساليته.

بقصد وإتقان جعل المسيح إرساليته نموذجاً لنا، عندما قال: «كما
أرسلني الآب أرسلكم أنا» لذا فأن فهمنا لإرسالية الكنيسة ينبع من
إستيعابنا لإرسالية ابن الله.

هل يمكن أن يتوقف بندول الرحمة عن التأرجح ؟ الجواب بمنتهى
البساطة عندما يتذكر المسيحيون العاملون في حقول الخدمة أن يسوع
هو المثال المحتذى و الكتاب المقدس هو الدليل المرشد و المرجع الوحيد.
ولايهم من هو أكثر شعبية أو من نرى أنه ناجح وموفق ، لكن المهم هو
ما علمه وعاشه المسيح. هذا ما يجب أن يكون سراجاً لسبيلنا. على كل
حال، الله أبونا هو أبو الرأفة، إذاً لو أننا أظهرنا الرحمة باسمه وبمعونته،
يجب أن نعمل ذلك بطريقته هو لا بطريقتنا نحن. في إرميا ٢ : ٨، قال
الله لشعبه: «الكهنة لم يقولوا أين هو الرب وأهل الشريعة لم يعرفوني
والرعاة عصوا عليّ والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء ما لا ينفع» وفي

مزمور ٥٠: ١٦: الله يقول: « للشيرير قال الله مالك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك.»

ونحن نتبع تعاليم وقوانين من اليوم ؟ هل أدخلنا حصان طروادة لقلوبنا، وكنائسنا وكلليات اللاهوت ؟ أنتجاهل الله كي نرضي الناس ؟ قال فرانكلين بيلي جراهام في مقابلة بشأن كتاب " يسوع الإنساني ": "يؤسفني أن أقول بأنّ العديد من الكنائس في هذه الأيام توجه إنفاقاتها، وحتى عظماتها فيما يجذب إنتباه العالم".

ما أهم هذا الأمر ! وستظهر أهميته القصوى مع الأيام ، لأنه ما لم نختار طريق الله، سنقع في ذات الخطأ الذي وقع فيه شعب طروادة. بعد المقاومة الشديدة التي قام بها أهل طروادة لعشر سنوات، لكن أثناء لحظات من احتفال أحمق، فقدوا كلّ شيء واستعبدتهم أعداؤهم.

الفصل الرابع مقابلات عن قرب

« ... جاء اليه ولما رآه تحنن » (لوقا ١٠ : ٣٣)

كتب لوري جاريت في يناير / فبراير ٢٠٠٧ في مقال الشؤون الخارجية:

امتدت بطول سفوح التلال الخضراء بمنطقة كوازولو- ناتال بجنوب أفريقيا البيوت الطينية المسقوفة بالصفيح والخشب الهشة جداً للدرجة التي يبدو أنها تهتز من عصف الرياح الشتوية. لا يفوت العين الملاحظة بدقة مشاهدة صفوف النصب المنقوشة الممتدة على مسطح الأعشاب على بعد خطوات من منطقة البيوت، حيث وضعوا أمواتهم هناك. إن هذه الأحجار التذكارية فوق المدافن دليل مرئي على كم الخسائر المرعبة في الأرواح ، فمنطقة مثل الزولو هذه ربما لديها أعلى نسبة إنتشار للإيدز على مستوى العالم.

على قمة أحد التلال يقيم في منطقة فولينديلا الرئيس "إينكوسي زوندي" رجل هادئ ، في أوائل الأربعينات من العمر، يهزّ زوندي رأسه من هول الاصابة بالإيدز وهو يقول: تعداد السكان في الثمانية عشر حي التابعين لي يبلغ حوالي ٤٠,٠٠٠ شخصاً مات منهم عشرة آلاف مصابين بالإيدز أي حوالي ٢٥% من السكان. ١٠% فقط من البالغين لهم توظيف رسمي في هذه المنطقة الوعرة، و قليل من الشباب هم الذين لديهم أمل في مستقبل معقول. تمثل الجنائز أكثر المناسبات للتجمعات الإجتماعية. القانون والنظام يعرجان على الرغم من الجهود الكثيرة للرئيس زوندي ، لأن الأيدز يحصد أيضاً من الشرطة والجنود.

هناك أكثر من ستّ بليون شخصاً في العالم، وستجد في أيّ وقت أن المرضي قطاع هائل منهم سواء مرضى أو جرحى أو في طريقهم للموت.

، حوالي بليون شخص يعيش بأقل من دولار واحد في اليوم، خمسة وعشرون ألف واحد يموتون كل يوم بسبب الجوع والإحتياج بالإضافة إلى مائة مليون فرد بلا مأوى ؟ إذا ساعدنا الجوع في أفريقيا وتجاهلنا الذين في وسط آسيا، ماذا سيحدث لهم؟ إذا أطعمنا الجوع وأهملنا المرضى، كيف نحدث فرقاً في الحال؟ إذا أنفقنا كل طاقاتنا ومواردنا لإيقاف رعب الأيدز في بمنطقة كوازولو- ناتال لكن امتنعنا عن مساعدة الـ ١,٦ مليون طفل وبالغ في أفريقيا يموتون كل سنة بسبب الملاريا، هل نكون تصرفنا حسناً ؟ باستثناء بعض الناس مثل بيل وليندا جيتس، نحن كأفراد ليس عندنا أما الوقت أو المصادر الكافية لمساعدة كل شخص يحتاج للمساعدة. لذلك ماذا نختار؟

قصة قديمة

قصة تتحدث عن رجل قد ترك بيته مبكراً في صباح يوم من الأيام وذهب مشياً على الأقدام ومعه حماره يحمل متاعه مرتحلاً نحو مدينة تبعد مسافة سفر لعدة أيام. لم يقطع مسافة طويلة حين قام بعض قطاع الطرق بمهاجمته، ضربه بلا رحمة، وسرقوا كل شيء كان لديه و أخذوا معظم ملابسه. طُرح بجانب الطريق لعدة ساعات قبل أن يمر أحد ويلاحظه. ربما في ذلك الوقت كان واعياً لكنه كان ضعيفاً جداً لدرجة لا تمكنه من الوقوف أو السير. كان أحد المارة كاهن يهودي والذي كان يجب أن يتوقف لتقديم المساعدة له ، لكن لسبب ما، تركه ومضى في طريقه. بماذا كان يفكر ؟ بالتأكيد رأى الرجل يتألم ، لكن يبدو أنه لم يرث له أو يشفق عليه. هل كان خائفاً من أن يُهاجم من قبل نفس قطاع الطرق؟ هل اعتقد أن ما حدث لهذا الرجل هو قضاء من الله بسبب خطية ارتكبتها وليس من شأنه أن يتدخل؟ راوي القصة لم يذكر لنا شيئاً و اكتفى بالقول: إن رجل

الدين هذا الذي من المفروض أنه يعرف أفضل من غيره ، تجاوزه ومضى .
بعد وقت قليل مر مسافر آخر على نفس الطريق ورأى الرجل المطروح
المجروح وكان رجل دين يهودي أيضاً من سبط لاوي ، كان ينبغي أن
يساعده لكنه مضى في طريقه . بأي شيء كان يفكر؟ ربما رأى أنه قرار
أحمق من الرجل أن يرتحل وحده في هذا الوقت المبكر . لماذا يتحمل
مسئولية غياب شخص آخر؟ مع أننا لا نعرف السبب، لكن فشله في إتخاذ
موقف فعال يكشف عن تقصير أخلاقي . بعد فترة قليلة من ترك الرجل
الثاني له ، ظهر مسافر ثالث . هذا الرجل كان من جنس يحترقه
الأشخاص الآخرون الثلاثة في القصة (بما فيهم المصاب) . كان سامريا ،
نصف يهودي ونصف آشوري . كل من يسمع القصة يتوقع أنه نظر إلى
الرجل وجاز مقابله أيضاً . لكن حالما رأى الرجل المصاب، توقّف وبدأ
بمساعده . أشفق عليه ، ولم يدنه ، وأخذ موقفاً عملياً عاجلاً . طهر جروح
الرجل المصاب وضمدها بأشرطة من قماش ، ربما مزّقها من ثيابه
الشخصية . ثمّ أركب الرجل المصاب على حماره وأخذه إلى أقرب فندق .
وعندما وصل إلى الفندق دفع ثمن غرفة ليس لليلة واحدة فقط لكن للمدة
التي يحتاجها الرجل .

ثمّ سأل راوي القصة مستمعيه عن من المسافرين الثلاثة يحبّ قريبه؟
أجابوا بأنه السامري . كان المسيح هو راوي القصة ، و قال لمستمعيه ،
«اذهب انت ايضا واصنع هكذا» (لوقا ١٠ : ٣٧) في هذه القصة
القصيرة ، علّم المسيح تلاميذه ماذا يريد أن يكون موقفهم من المتألّمين
الذين يقابلونهم في طريق حياتهم . المسيح يقول إلى كلّ من يتبعه بأنه
يتعين علينا أن نساعد أولئك الذين يتألّمون ولا نتجاوزهم ونمضي .

مقابلة على الطريق السريع

عندما كنت مقيماً في لوس أنجلوس كطبيب جراح تحت التدريب ،كنت أقود السيارة من منزلي إلى منطقة وسط المدينة في أحد الضواحي نحو الساعة الخامسة والنصف كل صباح يوم من أيام العمل . في صباح أحد الأيام وأنا أقودالسيارة حول منحني طويل على الطريق السريع ذي الثلاث حارات بسرعة خمسة وستين ميلاً في الساعة، رأيت رجلاً مصاباً مطروحاً في الحارة الوسطي من الطريق . كانت دراجته البخارية على بعد ثلاثين متراً على جانب الطريق . عدّة سيارات أمامي دارت حوله من كلا الجانبين وهم على سرعة خمسين إلى ستين ميلاً بالسّاعة. بصفتي جراح في مرحلة التدريب، كانت لديّ خبرة ليست قليلة لعلاج ضحايا الحوادث. عرفت بأنه إذا لم أتوقّف لإنقاذه من خطر الطريق، لن يمضي وقت طويل حتى يدهسه شخص ما. بدون تفكير ، دست على الفرامل وأوقفت سيارتي على بعد ثلاثة أمتار أمام الرجل المصاب. ثم أضئت إشارة الإنتظار بالسيارة، قفزت من سيارتي وأسرعت لمساعدته. كان الرجل فاقدا للوعي، كان يتنفس بصوت مرتفع وبدون إنتظام، لكنه لم يزل على قيد الحياة. كان نبضه جيداً ولا يوجد نزيف واضح، لذا ثبتّ رقبته كما تعلمت، لأتأكد أن مجرى التنفس مفتوحاً بالكامل. على مدار الدقائق الخمس التالية، مئات السيارات اصطفّت بكلا الجانبين. أمسكت رأس ورقبة الرجل لأنني إذا تركته فاقد الوعي، يمكن أن يخنق ويموت، أو تميل رأسه وتسبب ضرراً محتملاً أسوأ بالحبل الشوكي. لم أستطع أن أتحرك حتى يتوقّف شخص آخر لمساعدته، ولم يكن في وسعي فعل شيء أكثر سوى أن أصلي لله أن يعطي شجاعة لشخص ما من الذين يقودون على الطريق كي يتوقّف ويساعدنا. بعد دقائق قليلة توقّفت سيارة بجانبني على الطريق ، وخرج السائق ، وطلب رقم الطوارئ الـ ٩١١ من هاتفه المحمول ، وبدأ بتوجيه

المرور . مرت عشرون دقيقة لاحقاً، ثم ظهرت سيارة إسعاف وتولت الأمر عني . علمت لاحقاً أن الرجل المصاب تعافى، كان مصاباً بكدمات وكسور عدة مضاعفة . لم أحصل على اسم الرجل الذي توقّف لتوجيه المرور وطلب النجدة ، لكنّي أشكر الله من أجله . خاطر كلانا بحياته، لم نبرح مادياً ، ولا شكرنا أحد ، بل أن أحد أفراد فريق النجدة إنتقذني بحدّة لأنني تجاسرت و لمستّ الرجل المصاب قبل أن يصلوا!

وفقاً للذي علّمه المسيح في قصّته عن السامري الصالح، كلّ الناس الذين ساعدوا الرجل المصاب على الطريق صاروا قريبين و محبين له.

كتب ديفيد دبليو كروكر في كتابه، الطريق السامري،: أنى أتعجب من هذين الرجلين اللذين ضيع كلاهما فرصته لكي يكون بطلاً ومضياً هكذا في طريقهما. ألم يسألاً أنفسهما إن كانا قد تصرفنا التصرف الصّحيح بمرورهما دون أن يحركا إصبعاً واحداً للمساعدة، أم برمجا أنفسهما أن لا يتدنسا بالتفكير في ذلك؟ هل أحشائهما توجعهما حين يقفا ويتضرعا من أجل المظلومين؟ هل أخبر كل منهما زوجته بما حدث حين وصلاً إلى البيت في تلك الليلة، أم خجلاً من أن يذكرنا ما حدث؟ هل بقيا يقظين طوال الليل غير قادرين أن يعطيا نعاساً لعيونهما، لأن كلّ مرّة ترد لمخيلتهما صورة إنسان مضروباً ودامياً تعذبهما ضمائرهما؟ هل كانا يتذكران تقصيرهما و فشلهما في كلّ مرّة يعبران فيها الطريق من أورشليم إلى أريحا؟ هل إستعملا هذا الموقف كحالة للدراسة في تعليم شباب اليهود، أهمية الانضباط أن لا تستسلم للاحتياجات من حولك، لئلا تكون فرصة للتدنيس الطقسي؟ هكذا كان موقف هذين الاثنين في القصة.

ما هو الاختلاف بين السامري ورجلي الدين اللذين مضيا في طريقهما؟ لخصه كروكير في جملتين قصيرتين: "بسبب رحمته، لم يسأل

السامري ما الذي سيحدث لي إن توقفت؟ السؤال الذي كان على الأرجح يدور في رأس الكاهن واللاوي . لكن ماسأله لنفسه هو : ما الذي سيحدث لهذا الرجل إن لم أتوقف؟ " صرف يسوع أثناء السنوات الثلاث لخدمته، حوالي نصف وقته في شفاء المرضى. بقيّة الوقت كان يعظ. كان يسوع يتحرك حينما وجّهه الآب. مثل السامري في القصّة، ساعد يسوع أولئك الذين التقى بهم ، ربما كان مدفوعاً بالسؤال، "ماذا سيحدث لهم إن لم أتوقف وأساعدهم؟

الجموع الكثيرة لا بدّ وأنها كانت ترهقه أحياناً. كانت هناك أيام كلّ ما عمله فيها من الصباح حتى الليل ، هو أنه لمس الناس و كان يشفيهم. وعندما يشفي واحداً يأتي الآخر .. بعض الأيام لم يكن عنده وقت حتى للأكل. لكن لم يذكّر ولا مرة واحدة في الإنجيل كله أنه ابتعد عن شخص طلب منه العون. كان مستعداً دائماً أن يخدم حتى حين جاءته امرأة فينيقية تصرخ ليشفى ابنتها ، إختبر إيمانها ليُرى الجميع عظمة إيمانها وحين أظهرت إيمانها في جوابها الصريح ، شفى ابنتها على الفور .

بعد موت المسيح وقيامته، اقتفى تلاميذه أثره في عمل الإحسان مع أولئك الذين يلتقون بهم. توجهوا حينما قادم روح الله ، يشفون من يجدونه في حاجة للشفاء ممن يلاقونهم ، ويخبرون الناس عن يسوع أنه المسيا المنتظر وما فعله من أجل غفران خطاياهم . عملوا بالضبط كما أراهم المسيح أن يعملوا، والله أكرمهم وباركهم على ذلك. سواء كنا نقر بذلك أم لا، الأربعة البشائر تسطر لنا النشاطات الأربعة السائدة في خدمة المسيح و هي: الصلاة، الشفاء، الكرازة، التحرير من سلطان الشيطان. ربما الشيطان اللذان عملهما بالأكثر هما الصلاة والكرازة لكن آلام النفوس التي التقى بها ، جعلته لا يستطيع أن يمسك نفسه عن شفاء المرضى

والمتمسك عليهم ابليس . مع ذلك كانت الكرازة بالإنجيل تمثل أولوية عند المسيح، لم يتجاهل المرضى بين الجموع . كل من التمس منه الشفاء شفاه حتى لو أدى هذا الى مشاكل مع رؤساء اليهود . فعل ذات الشيء عندما تحنن على الجموع الذين خرجوا إليه بعيداً عن بيوتهم ليسمعوا تعليمه فأشبعهم .

من الخطأ أن نستنتج أن خدمات المسيح المتنوعة مرتبطة ومتكاملة مع بعضها ، فنجده يربط الإحسان بالإيمان ونسمعه يقول مرارا كثيرة لم يشفيهم : «بحسب ايمانكما ليكن لكما.» (مت ٩ : ٢٩)

هل مقابلاتنا اليوم تحدث مصادفة؟

عندما قدّمت طلب الالتحاق بكلية الطب ، لم أعرف من الذي سيقع في قرعتي لمساعدتي حتى أصبح مقبولا من بين كلّ المرشحين الآخرين، ما عدا الله، بالطبع! عملت بجدّ في الكلية للحصول على درجات جيدة وعملت كلّ ما يمكن عمله كي أكون مؤهلاً ، لكن لأنه كان هناك العديد من المرشحين المؤهلين الآخرين، كانت فرصتي في دخول كلية الطب ربما أقل من ١٠% . بطريقة ما وصل طلب إلتحاقى الذي قدمته إلى مكتب الدكتور وليام بي كيزويتير، رئيس قسم جراحة الأطفال في مستشفى الأطفال في بيتسبيرج. عندما كان عمري أربع عشر سنة، شاهدت موت رجل على جانب الطريق في كمبوديا. أنا و أبي حاولنا مساعدته، لكن لم يكن لدينا لا الخبرة ولا الإمكانيات الكافية لإسعافه. رأيت أننا لم نتمكن من عمل شيء ، و حاول أبي أن يقدم له رسالة الإنجيل بالالكمبودية ، لكن الرجل المصاب كان بوذياً . بعد لحظات طلب من أبي أن يكف عن الكلام ، ورفض رجائه الوحيد للحياة الأبدية. منذ ذلك الحين، بدأت أصلي للرب أن يسمح لي أن أكون طبيباً مرسلأ حتى يمكنني أن أساعد المصابين والذين يحتضرون وأعطيتهم فرصة أن يسمعوا ويقبلوا الأخبار

السارة لإنجيل المسيح قبل أن يفوت الأوان . وصولي لمكان الحادث في ذلك الوقت لم يأت مصادفة بل كان بترتيب إلهي دقيق.

عندما ملأت طلب الإلتحاق بكلية الطب، كانت تلك القصة جزءاً من جوابي على سؤال ، "لماذا تريد أن تصبح طبيباً؟"

كان أمراً مثيراً عندما دعاني سكرتير الدكتور كيزويتير في أبريل ١٩٦٩، وطلب مني المجيء من أجل مقابلة في مكتبه في كلية الطب بجامعة بيتسبيرج. بعدما سيطرتي على حماستي بدأت أفزع. أسئلة كثيرة جالت في خاطري: أي نوع من الرجال هو؟ ماذا يقول بشأن حلمي أن أصبح طبيباً مسيحياً مرسلًا؟ عرفت بأنه لديه السلطة أن يقضي على أحلامي. من بداية المقابلة تقريباً، والدكتور كيزويتير يدفعني على شرح رغبتني أن أكون طبيباً مرسلًا مسيحياً. كنت أتكلم لمدة خمس وأربعين دقيقة - والعرق يتصبب مني - مع هذا الأستاذ الكبير في جراحة الأطفال ثم نظر لي من تحت نظارته وإستمعت بترقب شديد له وهو يرمش بعينه وابتسامة لطيفة ترسم على وجهه وقال لي أنه هو أيضاً مؤمن بالمسيح لكن ليس ذلك فقط لكنه عبّر عن إعجابه برغبتني أن أكون طبيباً مرسلًا . وبجرة قلم منه وبضعة مكالمات هاتفية، تم قبولي والتحاقي بكلية الطب.

بعد بضع شهور، دعاني الدكتور كيزويتير وزوجته للعيش معهما في بيتهما الجميل في بيتسبيرج. ساعدني لاحقاً أن أقدم طلباً للحصول على منحة من جمعية الإرساليات الطبية في بنسلفانيا وبها سددت كل مصروفات تعليمي للسنوات الأربع التالية. عندما تخرّجت، كنت أحد الطلاب القليلين في فصلي الذين تخرجوا دون أن أترك ديون ورائي. علمت بدون أدنى شك بأن الله هو الذي ربّب لقائي مع الدكتور كيزويتير.

في ٢٠٠٤ سافرت إلى كمبوديا للمرة الأولى وكان عمري آنذاك ثمان وثلاثين سنة. أثناء زيارتي، رتّب الله لقاء رائع آخر. بين ١٩٤٩ و١٩٦٤، عاشت عائلتنا في كراتي ، كمبوديا. وما زالت البوذية تمثل أكثرية في البلاد. بعد أن نالت كمبوديا إستقلالها من الفرنسيين، أيدت الحكومة كلاميا حرية العقيدة لكن في الحقيقة عملت كلّ ما يمكن عمله لإعاقة عمل المبشرين المسيحيين. بعد وصول أبويّ مباشرة إلى كراتي ، دعا الوالي أبي إلى مكتبه وأخبره أنه ممنوع من التبشير أو تكوين كنيسة . رسم دائرة بإصبعه حول بلدتنا على خريطة وصرّح بأنّ أبويّ يمكنهما التبشير أو تأسيس كنيسة خارج هذه المنطقة وليس داخلها.

القرية الأقرب خارج تلك الدائرة كانت قرية صغيرة جدا اسمها كابال تشاو، على بعد إثني عشر كيلومتراً. لذلك كان هو المكان الذي زرع فيه أبي كنيسة. بعد عشر سنوات، نمت الكنيسة فصارت تضم حوالي أربعين مؤمناً بالغاً. في النهاية تولى قيادة العمل قسّ كمبودي اسمه "كرو" تعين من قبل الكنيسة الإنجيلية بكمبوديا ، الأمر الذي أعطى حرية لأبويّ أن يعودا إلى الكرازة في العديد من القرى الأخرى في المحافظة. سرعان ما أصبح أبي وكرو صديقين. كرو متزوج وأصبح أباً لخمسة أطفال، أصغرهم فتاة صغيرة اسمها ليديا. بمساعدة أبي، حفر المؤمنون بئراً وبنوا بيتاً خشبياً جميلاً من ألواح خشب الماهوجوني بارتفاع ٣ أمتار.

بحلول عام ١٩٦٤، كانت الحرب الدائرة بين شمال وجنوب فيتنام قد بلغت شدتها. وعندما قصفت الولايات المتّحدة بلدة (هوتشي منه) الكمبودية، طلب ملك كمبوديا من كلّ الأميركيان أن يغادروا بلاده. ثلاثة أسابيع لاحقاً، ودعنا مجموعة المؤمنين الصغيرة في كابال تشاو وغادرنّا

كمبوديا. كانت ليديا عمرها ست سنوات آنذاك. لم يخطر على بال أحد منا الكارثة التي ستحدث بالبلاد في النهاية. بعد خمس سنوات سيطر الخمير الحمر على كراتي. جاؤا إلى القرية، واعتقلوا القس كرو، و ساروا به خمسين متراً نحو حقول الأرز خلف منزله وأطلقوا عليه الرصاص أمام عيني زوجته وأطفاله. في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، أحرقوا الكنيسة تماماً ومنحوا ملكيتها لجيرانهم. ثم ماتت زوجة القس كرو بعد سنوات قليلة. أرسلت فيتنام جيشها في النهاية إلى كمبوديا وطردت الخمير الحمر من السلطة. بعد الحرب، كل أولاد كرو تركوا إيمانهم وهجروا القرية ماعدا ليديا فقط. كانت هي الأثر الوحيد الباقي للمسيحية في قرية كابال تشاو لعدة سنوات.

تزوجت ليديا أخيراً وعلى مدار السنوات الخمس والعشرين التالية ولدت ثلاثة أطفال، تبعوا جميعهم الدين البوذي. في منتصف التسعينات، وصل مسيحيون كمبوديون إلى بلدة كراتي حيث عاشت عائلتنا وبدأوا كنيسة بيتية. بعد سنوات قليلة، وصل مرسل أمريكي وكرز للجموع الكبيرة. وبعد سنوات قليلة مائة كمبودي تقريبا آمنوا بالرب يسوع المسيح ، وبنوا أول كنيستين مسيحيتين في كراتي. أخيراً، فريق من المسيحيين من كراتي زاروا كابال تشاو وقاموا بخدمة جهارية . عدد من المستمعين، منهم ليديا، قرّر إتباع المسيح وتكونت كنيسة صغيرة. ، أصبحت ليديا حاملا مباشرة بعد ذلك وولدت ابنا آخرا، صممت أن تنشئه نشأة مسيحية. أصبحت مرتبطة بالولد إرتباطاً قوياً. في أحد أيام صيف ٢٠٠٤، تعرض ابنها لصداغ حادّ مفاجئ. ساءت حالته بعد أيام قليلة، وبعد أن اعترته حمى شديدة مات.

كانت ليديا محطمة نفسياً . شعرت بأن الله تخلى عنها وملاها الحزن. لمدة شهور لم يمكنها أن تقوم بعملها. أصبح زوجها غاضبا عليها، خصوصا بعد أن قال له أقرباؤه البوذيون والجيران بأنّ الولد مات بسبب إيمان ليديا. جاء جيران ليديا لمواساتها وحثّها على أن تتخلّى عن إيمانها بالمسيح وقالوا: ألم يستطع إله المسيحيين أن ينجي ابنها؟ حاولت مجموعة المؤمنين الصغيرة في كابل تشاو تشجيع ليديا والصلاة معها، لكنّها لم تستطع أن تكف عن الإعتقاد بأن الله قد جعل ابنها يموت. الامر الذي أفرعهم، أنها وافقت أن تقام جنازة بوذية لإبنها. بعد ذلك، إنزلت إلى بالوعة عميقة من الكآبة واليأس ، بعد موت ابن ليديا بأسبوعين، وصلنا أنا وزوجتي بيكي إلى كراتي مع بنتنا رايتشل. كنت غائبا عن البلاد لتسع وثلاثين سنة ولم اتذكرأي شيء حتى ليديا. شاب مسيحي اسمه سرانج وافق أن يأخذنا إلى كابل تشاو لرؤية ما تبقى من الكنيسة.

زاد عدد البيوت في كابل تشاو عن الصورة التي في ذاكرتي . كان هناك بيت في المكان الذي كانت فيه الكنيسة يوما. بيت القسيس ما زال حيث رأيتة آخر مرة بجوار البئر التي ساعدهم أبي في حفرها باليد سابقا في عام ١٩٥٨. تغيّر ذلك المكان كثيرا للدرجة التي يصعب التعرف على ملامحه. كما قادنا سرانج إلى بيت القسيس القديم، رأينا امرأة متوسطة العمر نحيفة وصغيرة الحجم أسفل درجات السلم المؤدية للمدخل الأمامي للبيت. بدت متفاجئة وخائفة، لكن حين حيّاها سرانج وشرح لها بأسلوب مهذب بالكمبودي أننا أولاد المرسلين الذين عملوا مع أبيها، وضعت يدها على فمها بسرعة و اتسعت عيونها في دهشة. تكلمت إلى سرانج باللغة الكمبودية فتحول إلينا وشرح لنا بأنّ هذه كانت ليديا، البنت الصغرى للقس كرو. تغلّبت على المفاجأة و ضبطت مشاعري وقمت

بتحيتها باللغة الكمبودية . دعنا ليديا للمدخل و قالت لنا: إن زوجها كان يعمل في حقول الأرز.

إبنتنا رايتشل تتكلم اللغة الكمبودية بطلاقة ، لذا كانت تترجم لنا ما تقوله ليديا. جلسنا في أرضية مدخل البيت، كما هو مألوف مع الزوّار، ولساعة كاملة أجابت أسئلة سranج المتعلقة بعائلتنا. سمعت بأنّ الكونج فيت في بانميثوت قتلوا أبويّ سنة ١٩٦٨، وبعد ذلك بكت لوقت طويل ثم وصفت كلّ ما حدث لعائلتها. سألت الدموع على خديها طوال حديثها وعندما بلغت نهاية قصّتها، سألتها سranج إن كان ممكناً أن يخبرنا عن موت إبنتها. أدارت رأسها بصلاية ، لكن بعد لحظات أومأت برأسها . أخبرنا سranج كيف مات الولد ، ثم سرعان ما امتلأت عينها بالدموع.

في الساعة التالية حدثتها عما فعله الله في حياتي ، و حياة إخوتي وأخواتي. هكذا وضّحت في بادئ الأمر أنني كنت غاضباً من الله للإخفاق في حماية أبويّ، لكن الله تكلمّ معي وحثني على أن أضع ثقتي فيه، حتى دون أن أفهم ما كان يعمل. أخبرتها كيف سلمت قلبي للرب وقررت الإيمان والوثوق به، بالرغم من أنني لم أفهم ما يجريه. أخذ الله حزني واستبدله بالبهجة، وفي السنوات التالية، باركني وغمرني بحبّه وألطفه. كانت تستمع وتمسح دموعها أحياناً دون أن تقول شيئاً .

في النهاية، صلّينا من أجل ليديا أن تختبر سلام الله وبركته والنقطننا بعض الصور معاً بجوار البئر. ثمّ أعطيناها هدية صغيرة ومضيّنا. بعد خمس سنوات زرنا ليديا مرة ثانية. عندما رأتنا هذه المرة ابتسمت وصفقت بيديها. مات زوجها ، والآن الكثير من بنات أختها الصغيرات يعيشن معها، يملأون البيت حياة وبهجة. شجّعناها للمرة الثانية أن تتبع المسيح وتركناها مع هدية صغيرة من المال لنريها أننا مهتمون بها. أنا لا أعرف كيف

سوف تنتهي قصة ليديا ، لكنني أعرف بالتأكيد أنّ الله أتى بي وبزوجتي،
وابنتي كل هذه المسافة من وسط أفريقيا في هذا التوقيت بالذات إلى ليديا
المتألّمة لنخبرها أن الله لم يزل يحبها ولم ينسها.

المقابلات ليست أبداً مصادفة أو عشوائية، لكنها دائماً مُرتبة من قبل
الله كما نراها في أحداث الكتاب المقدس ، هكذا نختبر الأمر ذاته في
واقع حياتنا الحاضرة.

التدخل الالهي

توقّفت مرة عند قرية أفريقية قريبة من الشاطيء الذي نقضي فيه أجازتنا
في معظم الأحيان. و كان يوم الأحد فأردت دعوة أهل القرية إلى خدمة
صلاة كنسية. كانت زعيمة القرية، امرأة قد سبق وأجريت لها جراحة سابقاً
عندنا بالمستشفى. بعد أن شرحت لها ما أريد فعله ، إقترحت بأن نجتمع
في غرفة الجلوس بمنزلها. البيت صغير لدرجة أنه لو هبت رياحاً قوية
سيسقط فوقنا، لكن على أية حال إجتمع حوالي خمسة وعشرون شخصاً
ليسمعوا ما قيل لهم. كان الناس يصغون بانتباه شديد حين أخبرتهم بالعديد
من القصص التي رويتها لتقودهم في النهاية لمعرفة إله الكتاب المقدس.
بعد ذلك، طلبت مني زعيمة القرية أن أذهب معها لرؤية عمّتها المريضة.
في الحقيقة ترددت أن أذهب لأنني كنت في إجازة ولم أخطط للقيام بأي
عمل طبي. علاوة على أنني شعرت أنني كنت أعمل معروفاً لله بقيامي
بوعظ الناس أثناء إجازتي! كنت على وشك أن أرفض حين كلّفني الله
بصوت هادئ بالذهاب لرؤية تلك المرأة العجوز.

وجدت عمّتها في مبنى خشبي قديم و متهالك . كانت ترقد على حصيرة
فوق التراب. وكانتهناك كانت نار قليلة يتصاعد منها دخان كثيف يملأ
الغرفة المظلمة. بدأت أشعر بحرقه في عيني من شدة الدخان. كانت لدي

رغبة قوية أن أسرع للخارج وأستنشق بعض الهواء النقي. رأيت المرأة وكان يبدو عمرها سبعين سنة تقريبا و كانت تتنفس بصعوبة ، ربما بسبب مشاكل في الرئة أو ضعف القلب، أو ربّما بسبب الدخان ليس أكثر! كان معي بعض أدوية الطوارئ تحت مقعد سيارتي وكنت على وشك أن أذهب وأحضر ما أراه مناسباً لها حين اعترضني صوت من الرب قائلاً لي : صلّ من أجلها . فكّرت في نفسي : من أجل أي شيء أصلي ؟. أنها كبيرة السن وكيف ستتجاوب على أية حال وهي لا تتكلم الفرنسية ! لكنّي رضخت، و عندما وضعت يدي على ذراعها، وأغلقت عيني وبدأت بالكلام مع الله بخصوصها، فهمت أنّني كنت أصلي. حين أنهيت صلاتي بأنه يجب أن تحدث معجزة كبيرة، كنت أكح وأمسح عيوني الملتهبة، لكنّي بقيت في مكاني حتى أخبرتها عن محبة المسيح لها وأنه يمكنها أن تؤمن به لتتال غفراناً لخطاياها. بعد أن قلنا كلنا "آمين،" طلبت من زعيمة القرية أن تأخذها بعيداً عن الدخان، وأن تتبع نظاماً غذائياً خالياً من الملح وتأخذ حبوب المضاد الحيوي التي تركتها معها.

مر يومان بعد ذلك ، وفوجئت بتلك المرأة العجوز تسير على قدميها بمحاذاة الشاطئ تجاه بستانها في الغابة لتجني بعض الثمار! لقد تعافت بالكامل وعاشت لسنوات عديدة بعد ذلك ، سنوات كافية لها أن تستوعب قصة الله بما تحتوي من المغفرة والنعمة وتضع كل إيمانها في شخص المسيح. ربّ الله هذا اللقاء، ليجعل امرأة عجوزاً في قرية صغيرة جدا في وسط أفريقيا تصبح ابنة لله . واجه المسيح موقفاً مماثلاً حين كان في طريقه لشفاء ابنة رجل مهم. كانت هناك امرأة تنزف دما لمدة إثنتى عشرة سنة مدت يدها راجية أن تشفى ومست هذب ثوبه وهو مجتاز في الطريق. كان التلاميذ مهيبين لتوبيخ المرأة، لكن عندما رآها المسيح ، قال لها ، "

ثقي يا ابنة، إيمانك فد شفاك ! " نالت الشفاء تماماً في تلك اللحظة. يعلم المسيح بأنه لقاء مدرج في خطة الأب و عمل بالضبط ما أراده أن يعمل. بالنسبة للمسيح، هذه الحوادث لم تكن مصادفات بل لقاءات مرتبة من قبل أبيه، وهي فرص أعدها بإتقان لمن يعلم أنهم سوف يؤمنون به من خلالها. نخطئ إذا اعتقدنا أن الروح القدس مرتبط فقط بما هو مدون في أجدات مواعيدنا. الله عنده جدولته الخاص لأيامنا، وعندما يقاطعنا ينتظر منا أن نتوقف ونعطيه انتباهنا ونتجاوب مع ما يكلفنا به بقلوب ممتلئة بالرحمة

مقابلات في الكتاب المقدس

تسجل كلمة الله آلاف الأحداث، واللقاءات، والمقابلات بين الناس، أحداثا يعرف الله جيداً تفاصيلها مسبقاً. ها هي عينات من الآيات التي تدعم هذه الحقيقة:

- «من قبل الرب تثبتت خطوات الانسان وفي طريقه يسر» (مز ٣٧ : ٢٣)
- «قلب الانسان يفكر في طريقه والرب يهدي خطوته» (أم ١٦ : ٩)
- كثيراً ما جعلت أنت أيها الرب إلهي عجائبك وأفكارك من جهتنا. لا تقوم لديك. لأخبرن وأتكلمن بها. زادت عن أن تعد « (مز ٤٠ : ٥)
- «فإن رب الجنود قد قضى فمن يبطل ويده هي الممدودة فمن يردها « (إش ١٤ : ٢٧)
- «قال الرب لي أحسنت الرؤية لأنني أنا ساهر على كلمتي لأجريها.» (إر ١ : ١٢)

• «لأنني عرفت الأفكار التي أنا مفكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام
لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء» (إر ٢٩ : ١١)

عندما دعا الله شاوول أن يكون أول ملك لإسرائيل ، جعل صموئيل يشرح
للشاب ما سيحدث له لا حقاً في ذلك اليوم «بعد ذلك تأتي إلى جبعة
الله حيث أنصاب الفلسطينيين ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة
أنك تصادف زمرة من الانبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف
وناي وعود وهم يتنبأون فيحل عليك روح الرب فتنبأ معهم وتتحول إلى
رجل آخر» (١ صم ١٠ : ٥ ، ٦)

وهذا الأمر نراه أيضا في سفر صموئيل الأول ، القصة تخبرنا كيف منع
الله داود ورجاله من الانتقام من رجل اسمه نابال كان قد آهانهم. بينما
انطلق داود ورجاله لمحاربتة ، اعترضتهم أبيجايل زوجة نابال ومعها
هدية كبيرة من الطعام والاعتذار . « فقال داود لأبيجايل .مبارك الرب
إله إسرائيل الذي أرسلك هذا اليوم لاستقبالي ومبارك عقلك ومباركة أنت
لأنك منعتني اليوم من اتيان الدماء وانتقام يدي لنفسي .» (١ صم ٢٥ :
٣٢ ، ٣٣) علم داود أن هذه المقابلة ليست مصادفة بل ترتيب إلهي.
عندما احتاج المسيح إلى جحش للركوب عليه في دخوله أورشليم أرسل
تلاميذه وأوصاهم قائلاً : اذهبوا إلى القرية التي أمامكما وحين تدخلونها
تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس قط .فحلاه وأتيا به .
وإن سألكما أحد لماذا تحلأنه فقولوا له هكذا أن الرب محتاج إليه. «
(لو ١٩ : ٣٠)

هذا الحدث كان قد تنبأ عنه زكريا من أربعمئة سنة قبل ذلك: « ابتهجي
جدا يا أبنة صهيون اهتفي يا بنت اورشليم .هوذا ملكك يأتي اليك هو
عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان » (زكريا ٩ : ٩)
« فمضى المرسلان ووجدوا كما قال لهما . وفيما هما يحلان الجحش
قال لهما أصحابه لماذا تحلان الجحش . فقالا الرب محتاج إليه . وأتيا
به إلى يسوع وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع » (لو ١٩ :
٣١-٣٤)

الله يمكنه أن يرتب حتى الحيوانات التي نلاقيها في طريقنا ! هناك العديد
من الأمثلة المذكورة في الكتاب المقدس التي تشهد عن تخطيط الله
للأحداث بإتقان قبل حدوثها بزمن طويل .

المغزى المقصود من كلامي هو أن كل مقابلاتنا اليومية مع الناس ليست
عشوائية أو وليدة الصدفة، لكنها مخططة بإتقان من قبل أبينا السماوي.
إذا قابلنا احتياج للمساعدة، فالله يريدنا أن نتجاوب معه بهذا النوع من
الرحمة الحقيقية.

الفصل الخامس

الشافي الوحيد

« مرضا ما مما وضعته على المصريين لا أضع عليك .فإني أنا الرب

شافيك » (خر ١٥ : ٢٦)

خدمة الشفاء على غرار المقابلات

وصلني بريد إلكتروني أتلق صدري . طفلة مالميزية عمرها خمس سنوات
أحضرت إلى المستشفى في الجابون بسبب مشكلة في القلب ، أُجريت
لها جراحة تصحيحية ناجحة في عيادة ماياو مجانا . تمت العملية
الجراحية بنجاح لأسباب عدة ، منها أن قصور القلب الذي كان لديها
يمكن علاجه ، و لم يكن هناك أي نتائج عكسية على رئتيها من تدفق
الدمّ الغير طبيعي في قلبها، كان هناك طبيب أطفال أمريكي يتولى
متابعتها مع أطباء القلب والجراحون في عيادة ماياو لمدة سنتين تقريبا ،
كان قادراً على إجراء تشخيص صحيح بجهاز الأشعة الفوق صوتية
للقلب في الجابون و يحظى بتذكرة طيران ذهاب وعودة إلى الولايات
المتحدة من الخطوط الجوية الفرنسية. علاوة على ما سبق ، عيادة ماياو
كان بها نخبة من أطباء القلب والجراحين المهرة على مستوى العالم و
أطباء التخديروممرضات لرعاية الحالات الحرجة ، معالجون
متخصصون في التنفس، وفنيون معامل يجرون إختباراتها. الجراحة لم
يكن غبار عليها والنتائج كانت ممتازة.

الاستنتاج بأنّ هذه الفتاة الصغيرة شفيت بواسطة الأطباء، والممرضات، والتقنيين الطبيين الذين عالجوها يبدو منطقياً جداً. لكن ليست هذه هي الحقيقة. لماذا؟ لأن الكتاب المقدس يعلمنا أن الرب هو مصدر كلّ شفاء، سواء تم بصورة طبيعية، أو طبية، أو معجزية.

أجريت عملية لطفلة عمرها أربع سنوات تعاني من تورم بالركبة. كشفت أشعة إكس وضعاً طبيعياً لعظام الركبة وما بدا وكأنه دمامل صغيرة متعدّدة تحت الجلد وحول مفصل الركبة. افترضت بأن عندها التهاب يلزم تصريفه ثم علاجه بالمضادات الحيوية بعد إجراء العملية. عندما فتحت ركبتها في اليوم التالي داخل غرفة العمليات، فوجئت حين نظرت لا توجد اي تقيحات لا في النسيج اللين المتورم حول ركبتها ولا في مفصل الركبة. ظهرت المفصل وأنا متعجب، وأقفلت الجرح الصغير، وعالجتها بالمضادات الحيوية.

وبعد عشرة أيام، لم تظهر على الجروح التي في ركبتها أي دلائل على الشفاء و كانت ركبتها تؤلمها بدرجة أكبر من قبل ذلك. اعتقدت أن الخياطة قد جعلت الجرح يلتهب، فككت السلك. اليوم التالي وجدت الجرح مفتوحاً كما لو كنا قد أجرينا العملية اليوم السابق. مر شهر و ما زالت حالتها كما هي دون تحسن وحاولنا أن نعرف لماذا لا يلتئم الجرح. جاء أكثر من أخصائي إلى المستشفى خلال تلك الفترة، لكن كلّهم كانوا متحيرين مثلنا. جربنا مجموعة أخرى من الأدوية، منها أدوية علاج السلّ. لم يجد أي منها. أثناء هذا الوقت، صليت أنا والمقيمون معي لهذه البنت الصغيرة وكان أمراً صعباً أن أراها متألمة بسبب معاناتها كلّ يوم أثناء مروري في المستشفى.. جاء يوم حين كان يلزم أن نجري اختياراً صعباً: بتر ساقها فوق الركبة أو تركها لتذهب للبيت كما هي . طلبت من فريقنا

الجراحي الإلتفاف حولها ووضع الأيدي عليها و قلت في صلاتي: "أبانا، نحن لا نعرف ماذا نعمل هنا. جربنا كل شيء نعرفه، ولا شيء في وسعنا أن نعمله بعد الآن و لا نريد بتر ساقها، لكننا لا نعرف شيء عدا ذلك لنعمله. أنت الذي أعطيتنا المعرفة التي لدينا، والأدوية التي بين يدينا لإستعمالها. لكن الآن جعبة معرفتنا قد فرغت. نرجو أن ترى ما نفعله أو المس أنت هذه البنت الصغيرة بيدك الشافية واجعل حالتها أفضل. نحن نطلب ذلك في اسم الرب يسوع المسيح. آمين "

ساد الصمت برهة بعد أن أنهيت من الصلاة ثم سأل واحد إن كان من المحتمل أن يكون سبب هذا الإلتهاب بكتيريا من النوع النادر و التي يمكن أن تسبب جروحاً عميقة تختبئ تحت الجلد. نظرت إلى المنظر القبيح للركبة المتورمة والبنت الباكية وفكرت في الأمر. عالجت على الأقل مائة من تلك الإصابات في السنوات الثلاثين الماضية، لكن لم يسبق لأى أن رأيت أو قرأت عن مثل هذه العدوى التي تغزو مفصلاً رئيسياً بدون أن يتقرح الجلد أولاً. ذلك النوع من العدوى كان سببه ميكروب *Mycobacterium ulcerans*. لم يكن لدينا وسيلة لتحليله أو إجراء إختبار له ، لذا كان يلزم أن نقوم بالتخمين على أساس علمي. سوف لا نخسر شيئاً سوى بعض الوقت والمال، لذا قررنا إعطائها العلاج المقترح لهذا الميكروب.

أمام الإختيار ما بين البتر، أو الذهاب إلى البيت بدون حل للمشكلة، أو العلاج المقترح ، قررت الأمّ البقاء لبضعة أسابيع أطول. بعد مرور أربعة أسابيع ، خرجت البنت الصغيرة من المستشفى على ساقها ، وشفيت ركبته بالكامل تقريبا. يمكن أن نقول بأنّ تخميننا كان صحيحاً ، لكن هذا النوع من الأشياء يحدث لنا في أغلب الأحيان في المستشفى.

و أعتقد أن الله هو الذي يضع في عقولنا الآراء الصائبة عندما نطلب العون منه. الله أعطانا التشخيص الصحيح في الوقت المناسب. لا يهم إلى أي مدى بلغت من تحصيل العلم في مداواة الجروح، وعلم الخلية، و الأحياء الدقيقة، والكيمياء الحيوية، أو الفيزياء ، أنا و أنت لا نحتاج أن نعطي تعليمات للعضلة أو لمفصل كي يقوم بوظيفته لكنه يعرف ما يجب أن يفعله. هذه الحقيقة مشروحة بشكل جميل في مقدمة للطبعة الثامنة لكتاب شوارتز في مبادئ الجراحة:

أن الجسم مصمم في إستجابته للإصابات الميكروبية المختلفة وتنشيط خلاياه(وهو ما يسمى الالتهاب) لإعادة وظائف الأعضاء المصابة والقضاء على الميكروبات المسببة لهذه الاصابة وعندما تكون الاصابة محدودة فانها عادة ما تتبع باستعادة كاملة لوظائف العضو المصاب دون الحاجة لاي تدخل من خارج الجسم و على النقيض من ذلك فان الاصابات الجسيمة عادة ما تكون مصحوبة بالتهابات حادة و بدون التدخل من خارج الجسم فان المريض قد يصاب بمشاكل عدة قد تؤثر على حياته.

ففي حالة "الإصابات الكبرى" في الجسم، كل ما يمكننا عمله كأطباء، وممرضات، وجراحين هو أن نساعد الجسم البشري أن يداوي نفسه بنفسه. قد نسمي هذا النوع شفاءً ويحسب الفضل لنا ، لكننا في الواقع مثل القابلات الماهرات اللواتي يولدن الأطفال بمنتهى البساطة.

واحدة من أوّل وأهم الدروس التي تعلّمتها في تدريبي في الجراحة العامة هي أهمية تصريف الصديد من أماكن الاصابة. كلّ يوم تقريباً في المستشفى نقوم بتصريف صديد خرايج عدة، وخلال ساعات من إجراء ذلك يبدأ مرضانا في التحسن. تنخفض درجة حرارتهم ، و يسكن ألمهم

، تنفتح شهيتهم للأكل، وتعود البسمة على وجوههم من جديد، ويستعيدون قوتهم بمرور الوقت . تنجح لأنها تحول ميزان القوى من العدوى إلى نظام مناعة الجسم. أحيانا يكون من الصعب أن تجد الصيد أو تصرفه بسلامة.

نحن نعول أحيانا على المهارات المرتبطة بذلك، لكن الشخص الذي علم الناس في المقام الأول كيفية تصريف القيح من الجسم هو الله و هو أيضا أول من عرف أوائل أطباء التخدير قديماً الأدوية التي نستعملها اليوم في المستشفيات في جميع أنحاء العالم ولسنا في حاجة بعد أن نربط المرضى بالحبال لإرغامهم أن يتحملوا ألم الجراحة. يمكن أن تقول بأن هذه الآلاف بل والملايين من لحظات المصادفات هي نفسها التي تمخضت بهذه الإكتشافات. حتى المنهج العلمي بدأ بمجرد فكرة تلتها الأخرى، ثم إكتشاف ملايين الحقائق العلمية تباعاً.

هبة المعرفة

تحدّثت عن حقيقة أنه لا يوجد إنسان قادر وحده على تعلّم كلّ المعرفة الطبية في العالم. إنسان واحد لا يستطيع إتقان العلوم الموجودة على وجه الأرض في سنة واحدة فقط. عدد مقالات البحث التي تنشر كلّ سنة في المجالات العلمية قد يتجاوز مائة ألف مقال، واليوم يوجد أكثر من ٢٨٣ مليون مقالة علمية مدرجة على الإنترنت ، تصف هذه الإكتشافات بدون إستثناء الأشياء التي وجدت في كوننا وعالمنا.

هناك قصة مشهورة عن عشرة عميان قابلوا فيلاً أليفاً. وضع واحد يده حول زلومة الفيل واستنتج بأنها تشبه ثعباناً. شخص آخر لف ذراعه حول إحدى سيقان الحيوان وظنّها جذع شجرة . الثالث تحسس جسم الفيل

الهائل واستنتج بأنه كالحائط، وهكذا. كان وصفهم للفيل خاطئاً إلى أن وضع كل منهم ما وتوصل إليه بجانب الآخر فوضحت الصورة. لكونهم عمياناً لم يعرف أحد منهم بطبيعة الحال أنّ الفيل كان رمادي اللون. ذلك "العمى" المقصود هنا يشير إلى محدودية ما نحصل عليه من معرفة من خلال أحاسيسنا البشرية و أبحاثنا واستنتاجاتنا المنطقية. هذه الأدوات رائعة، لكنّها عاجزة عن إكتشاف العالم الروحي وإدراك تأثيره على حياتنا. تقول كلمة الله إن المسيح « هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليفة فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين .الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل » (كو ١ : ١٥ ، ١٦) في (عب ١ : ٢ ، ٣) يُذكر نفس الشيء بصيغة أخرى: « ..الذي به أيضاً عمل العالمين ، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته « وفي دانيال ٢ : ٢١ « وهو يغيّر الأوقات والأزمنة يعزل ملوكا وينصب ملوكا .يعطي الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهماً « يقول ايضا « بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر» (عب ١١ : ٣)

لا يمكنك أن تكون تلميذاً حقيقياً للمسيح وتعتقد بأنّ العالم قد تكون بالصدفة على مدى بلايين السنوات وبأننا من منتجات الصدفة. قد لا نتفق على كيفية الحدوث ، لكن الله ذكر بشكل صريح في كلمته بأنه وحده الذي خلق الكون بما فيه عالمنا، وهو وحده الذي يديره ويضمن استمراريته. كوننا قادرين على استيعاب كميات هائلة للمعرفة العلمية عن الكون هذا لا يعطينا الحقّ في نسب الفضل لنا عند حدوث النتائج .

المعرفة عن الله أو الكون هي عطية من الخالق، منحها لنا لأنه يريدنا أن نعمل معه كشركاء.

إسمح لي بالعودة إلى قصة البنت الصغيرة التي كان لديها التهاب Mycobacterium ulcerans في الركبة. المضادات الحيوية التي استخدمناها جرت في عروقها إلى كل جزء في جسمها بما فيها منطقة الركبة المصابة. لأنها كانت العلاج الصحيح لتلك العدوى الغامضة، توقفت تلك البكتيريا عن التكاثر، وسمحت لجيوش الخلايا البيضاء المحاربة للعدوى على تدمير الجراثيم الضعيفة وتطهر الأنسجة منها وبذلك يشفي مفصل الركبة ويلتئم الجرح. عالجنا هذه البنت الصغيرة بالمعرفة التي الله أعطانا لنا و للعلماء الذين أنتجوا الأدوية.

ليس أن الله وضع الفكرة في عقولنا في لحظات حاسمة فحسب لكن نظام العلاج بأكمله الذي اتبعناه كان مبنيا على المعرفة التي منحها الله للباحثين من عقود مضت. لم يعطها لهم ليكونوا مشهورين بل لغرض واضح ألا وهو مساعدة مرضى و أطفال متألّمين. هذا فقط مثال صغير لاحد الجوانب التي يرغب فيها الله أن يشرك معه في عمله أولئك الذين آمنوا ووثقوا به. إن عملية الشفاء صممت بواسطة مصمم بارع وكلي المعرفة و نبع خبرته لا ينضب.خذ أي من الكتب الدراسية الرئيسية الحالية في آليات شفاء الجسم البشري وحاول قرائته في أقل من الشهر إن استطعت.

لإتقان ما نعرفه اليوم عن هذا الموضوع يستغرق الأمر من الإنسان العادي(غير المتخصص) من ثلاث إلى خمس سنوات، يتوقف الأمر على مقدار نكائه ورغم ذلك لن يبلغ إلى نصف المعرفة المطلوبة! مراحل شفاء الجسم لم تصمّم كالساعات السويسرية التي تخرج من المصانع تدور

إلى حين ثم تتوقف ، والساعة لا تستطيع إصلاح نفسها، لكن الخالق أعطى أجسامنا القدرة على إصلاح نفسها في حالات لا حصر لها من الكثرة . هناك أوقات، مع ذلك تكون الإصابات أو العدوى شديدة للدرجة التي فيها لا يمكن أن تعالج بدون مساعدة خارجية. لذلك يدعونا الله للمشاركة معه باستخدام كلا الأمرين؛ المعرفة التي أعطانا إياها وقوّته. أقول للأطباء الذين يقرون بسلطان الله؛ ثقوا في قوّته الغير محدودة ، ولا تستحوا أن تطلبوا العون منه لأنه إله أمين؛ يسمع الهمس و دائماً معين؛ يصنع ببأس.

هل التين يشفى ؟

هناك العديد من الأمثلة في الكتاب المقدس نجد فيها الله يدعو فردا للمشاركة معه في إجراء معجزة. أذكر قصة وردت في (٢ مل ٢٠) عندما مرض الملك حزقيا مرضا مميتا. في بداية القصة، جاء إشعيا النبي ومعه رسالة للملك: "رتّب شؤونك، لانك ستموت. أنت لن تتعافى من هذا المرض." عندما خرج إشعيا من القصر، توجه حزقيا إلى الله والتمس منه أن ينجيه ويبقيه في الحياة . . سمع الله صلاته وأخبر إشعيا أن يذهب ويبلغ الملك رسالة أخرى: بأن الله سمع صلاته ورأى دموعه، وسيضيف لحياته خمس عشرة سنة أخرى. بعد أن أبلغه الرسالة، إتجه إشعيا إلى خدم الملك وقال لهم: "اصنعوا مرهما من التين وادهنوا به الورم ، وحزقيا سيشفى " فعلوا ذلك وشفي حزقيا من المرض الذي كان سيقتله. فما الذي شفى حزقيا؟ الله أم التين؟ البعض منا بالتدريب الطبي يبدأ بالاعتقاد على الفور أن اشعيا لا بدّ أنه أضاف من نفسه معجون التين. ربما كان هذا هو العلاج المفضّل لديه في البيت، وربما لا علاقة له بشفاء الخراج. مع ذلك، الخراج عادة لا يقتل صاحبه وأحيانا يصرف

صديده من ذاته ، بغض النظر عن المادة التي توضع عليه. يمكن أن أخبرك بأنّ معالجة الخراج ليست معقدة. عالجت الآلاف منهم خلال ممارسة مهنتي كجراح. لكنّي لم أسمع أبداً عن حالة خراج أو دمامل قاتلة تعالج بعد دهنها بصلصة تين!

هل كان مرض الملك حزقيا ليس خطيراً حقاً؟ المرض الذي وصفه حزقيا في قصيدة شكره في إشعياء ٣٨ يشير بأنه كان أكثر من مجرد ورم أو خراج. قال «كسنونة مزققة هكذا أصبح. أهدر حمامة. قد ضعفت عيناى ناظرة إلى العلاء يا رب قد تضايقت. كن لي ضامنا.» (إشعياء ٣٨ : ١٤)

إذا كان خراج الملك يمكن أن يعالج بمعجون التينة، لماذا لم يقترحه إشعياء في المرة الأولى التي زار فيها الملك حزقيا و معه رسالة من الله؟ لماذا يقترح علاجه المفضّل في الوقت الذي أعلن فيه الله أنه سمع صلواته وأنه سيعيش خمس عشرة سنة أخرى؟

الجواب : أن مرهم التين كان فكرة الله. البعض يفضلون الاعتقاد بأنّ شفاء حزقيا حدث بقوة الطبّ الطبيعي. ربما كان هناك بعض العناصر السرية في معجون التين، ربّما فطر البنسلين! إنّ المشكلة الوحيدة في هذه الفكرة أنّ معجون التين لم يسبق و ثبت أحتوائه على مادة قوية فعالة للشفاء. لكن على الأرجح في هذه القصة بأنّ حزقيا قد شفاه التين بإصبع الله.

الله سرّان يشارك إشعياء معه في شفاء الملك، قصد الله أن الاثنتين يعملان معا.

توجد قصة شبيهة في سفر الخروج حينما جعل الله من خلال موسى - بشكل معجزي - الشعب يعبر البحر الأحمر إلى اليابسة. ثمّ جعل الله

موسى يقود الإسرائيليين في البرية ثلاثة أيام. عندما وجدوا أخيراً ماء ليشربوا، لم يستطيعوا أن يشربوا لأن الماء كان مرّاً. أمر الله موسى أن يرمي عوداً من شجر إلى الماء، وعندما أطاع وفعل ذلك، صار الماء عذباً. هل كان خشباً من نوع خاص، أم كان عادياً؟ مهما كان نوعه، فحين فعل موسى كما أمره الله، أصبح الماء عذباً وصالحاً للشرب. إن مفعول عود الشجر الذي ألقاه موسى يكمن في قوة الله.

خاتمة ختامية

الله هو مصدر كل شفاء، سواء تم بالأنظمة الطبيعية التي جعلها في أجسامنا، أو بمساعدة الطبيب، أو بصورة معجزية، أو بتوليفة مما سبق. أسلوبه المفضل للشفاء أن يعمل دائماً بشراكة مع بعض الذين يخدمونه ويحبونه ويثقون به. في الفصل التالي سوف نلقي نظرة على الشيء الواحد الذي يجب أن نحيا به إن أردنا أن نسر الله وننال العون منه.

الفصل السادس قوة الإيمان

«.. بدون ايمان لا يمكن ارضاءه » (عب ١١ : ٦)

الشفاء بالإيمان

أوصى المسيح تلاميذه أن يشفوا المرضى بالإيمان ولا يوجد في كل الكتاب المقدس ما يشير إلى أن هذا المنهج قد تغير. يسوع يتوقع من كل من يتبعونه بالحق أن يشفوا مرضى بالإيمان ولا يوجد موضع علم فيه أن هذه الوصية تعد لاغية أو باطلة إن استخدم تلاميذه مصادر طبية أو معرفة قد وهبها الله لهم. حيث أن معظمنا ليس لديه إيمان لشفاء الناس أو عمل معجزات بالبساطة التي كان المسيح يجري بها، نميل للإعتقاد أن طريقة المسيح في خدمة الشفاء لم يعد لها مكان في عالمنا المعاصر. التطرف نحو الإتجاه الآخر في تفكيرنا هو أنه في حالة لجؤنا للوسائط الطبية التي تثبت مفعولها، فالله لن يسمع لصلواتنا من أجل الشفاء.

طلبتني صديقة لنا لتأخذ نصيحتي حول أخ مسيحي كان يعاني من سرطان منتشر في وجهه. عندما إستمعت إليها، أصبح واضحاً أنه لا يوجد واحد من تلك البدائل الطبية المختلفة التي كنا نتناقش بشأنها كانت قادرة على شفاء هذا الرجل. مواردنا الطبية قد تبقيه على قيد الحياة لسنة شهر أخرى، لكن المرض قد انتشر إلى المدى الذي لم يعد معه في سعتنا

عمل أي شيء يجدي له نفعاً. الشيء الوحيد الذي تبقى لنا ويمكننا به مساعدة شخصاً يموت هو محاولة تسكين آلامه خاصة أن المرض قد وصل إلى المخ. لكن حالة هذا الرجل ليست ميئوس منها حتى الآن ، لأن الله الذي شفى المصابين بالبرص بعد أن فقدوا أصابعهم وأنوفهم والذي خلق عينين للمولود أعمى لم تزل لديه القدرة أن يشفي من السرطان والإيدز والذين أحوالهم في نظر الطب صارت ميئوساً منها، إن وجد الإيمان.

جعل المسيح الأمور واضحة لتابعيه الذين يتوقع منهم أن يعيشوا ويعملوا بمبدأ الإيمان، كما فعل هو. فقال لتلاميذه : «الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها لأنني ماض إلى أبي. ومهما سألتكم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الأب بالابن. إن سألتكم شيئاً باسمي فإني أفعله» (يوحنا ١٤ : ١٢-١٤). وعندما أرسل تلاميذه قيل : « أعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف» (متى ١٠ : ١)

في مناسبة اخرى حين عجز تلاميذه عن إخراج الشيطان من الولد المصروع ، وبخ المسيح كل من الشعب وتلاميذه لأن ثقتهم بقدرة الله على شفاء الولد كانت محدودة جداً . ثم انتهى الشيطان وأخرجه من الولد الذي كان يسكنه. عندما سأله تلاميذه سراً عن عدم استطاعتهم على فعل ذلك أجابهم: «...لعدم إيمانكم .فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم. » (متى ١٧ : ٢٠) المشكلة ليست أن روح الله أصبح أضعف، إنما إيماننا في قدرته - لشفاء السرطان، أو الأيدز، أو أي

مرض نفسي - قد تلاشى تقريبا. في الحقيقة نحن لا نعتقد بأنّ الله يمكن أن يعمل أشياء مستحيلة. ما أشبهنا بشعب الناصرة!

عندما علّم المسيح في مجمع الناصرة يوم السّبت، سأله الذين يسمعونه: « من أين لهذا هذه. وما هذه الحكمة التي أعطيت له حتى تجري على يديه قوات مثل هذه. » وقالوا بسخرية: « أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان. أوليست أخواته ههنا عندنا. فكانوا يعثرون به » لقد رفضوا تماماً أن يؤمنوا به « فقال لهم يسوع ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته. » وبسبب عدم إيمانهم « ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم. » (مر ٦ : ٤ ، ٥)

هذه عبارة مذهلة، لأنه في ذلك الوقت كان المسيح قد أجرى العديد من المعجزات، معجزات لم يجر مثلها أبداً في إسرائيل! رغم ذلك أخبر شعب الناصرة بأنه لا يستطيع أن يشفيهم. قلة إيمانهم جعلت الأمر مستحيلاً. الشيء المؤسف، في أغلب الأوقات ليس فقط نحن الأخصائيون الطبيون نفتقر إلى الإيمان؛ لكن أولئك الذين يطلبون مساعدتنا ليس عندهم إيمان في قدرة الله لشفائهم أيضاً. لكن إن لم يكن لدينا إيمان، كيف نشجّع الآخرين أن يؤمنوا؟

إنّ طابع عدم الإيمان الذي أظهره أهل الناصرة يمثل الوضع الطبيعي الموجود في عالمنا وكنائسنا اليوم. دعني أسألك هذا: إذا كنت تعاني من سرطان مميت، هل ستدعو شيوخ كنيسةك وتطلب منهم دهك بالزيت ورفع صلاة من أجلك؟ هل تبذل الجهد لترتيب ليلة صلاة وصوم من أجل

شفاء ابنك المريض؟ ربما يفعل البعض ذلك ، ولكن الحقيقة بأن قليلين جدا ممّا هم الذين يبدون رغبة في بلوغ هذا المستوى.

وفقا لتعاليم المسيح ، إن كنت تظن أن صلواتك من أجل شفاء شخص آخر لن تصنع فرقا فهي لن تؤثر بالفعل. إذا لم يكن لديك إيمان كاف حتى لطلب الله أن يفعل شيئا فلن يفعل ما ترجوه أن يفعله. بينما قد يكون عندنا إيمان كاف في إمكانية الله أنه يشفي من مرض صغير مثل أصابة أحد أطفالنا بنوبة أنفلوانزا أو حمى والتي نعرف أنه سيشفى منها في النهاية بطريقة ما . أننا لا نمتلك إيمانا كافيا أنه قادر أن يشفينا من الأمراض المستعصية. لذا فإن قدنزعجه كي يشفي من الإنفلوانزا والصداع والأمراض البسيطة، لكننا لا نستطيع أن نطلب الله بجدية لشفائنا من داء نعرف أنه مستعص.

قال المسيح بمنتهى الوضوح إنه إن طلبنا الله فإنه يجيب صلواتنا. الكلام عن طلب الرب من أجل الشفاء مثل حديثك مع زوجتك عن قضاء فترة شهر العسل من جديد دون أن تفعل ذلك يجعل الأمر أسوأ من عدم إثارة الموضوع من الأساس. قال المسيح لتلاميذه : « أسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم » (متى ٧:٧) وقال الرسول يعقوب «.. لستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون » (يع ٤ : ٤) أحيانا، لا نطلب من الرب شيئا لأننا غاضبون منه.

كان الملك آسا من نسل داود وكان واحداً من أفضل ملوك يهوذا. حدث يوماً أن الله أرسل نبياً لتوبيخه لأنه لم يطلب الرب في نهاية حياته «مرض آسا في السنة التاسعة والثلاثين من ملكه في رجليه حتى اشتد مرضه وفي مرضه أيضا لم يطلب الرب بل الأطباء . ثم اضطجع آسا مع آبائه ومات في السنة الحادية والأربعين لملكه » (٢ أخ ١٦

(١٢-١٣). هل طلب الملك آسا الرب، لو فعل ذلك ألم يكن قد نال الشفاء! كم مرة نفعل ذات الشيء في أيامنا؟ لقد طلبت الرب أحياناً كثيرة أن يعينني في إجراء عمليات جراحية بأفضل صورة ممكنة أو أن ينجي مرضاي من مواقف صعبة واختبرت استجابة الرب على تلك الطلبات مرارا وتكرارا، أستطيع أن أقول أختبرت ذلك حرفياً، مئات المرات. هل يمكنني برهان ذلك؟ لا يمكنني أن أثبت ذلك علمياً. لكن لسان حالي كما يقول قرار الترنيمة التالي :

هكذا قال الله وأنا أو من بكل ما قال
وهذا بالنسبة لي كاف على أية حال

أعرف جيداً أنه لن يمكنني الحصول على ذات النتائج بالإعتماد على مهاراتي وخبراتي وحدها. طلبت من الرب أن يشفي من أدوار حمى و إصابات حوادث ولدغات أفعى و حالات غيبوبة. أكذب عليكم إن قلت أن كل من صليت لأجلهم نالوا الشفاء. في الحقيقة، في أغلب الأحيان لم تسفر صلواتي على نتائج معجزية فورية.

الله لا يعمل دائما ما نحن نتوقع، لا أدري سبب ذلك. لا أفهم لماذا لا يشفي حين نطلب منه - نحن أولاده - بإيمان شديد. لكن المقصود من كلامي هنا : أني لم أر في حياتي أبداً أن الرب شفى شخصاً لا يعتقد أن الرب سيشفيه أو يقدر على ذلك.

مع ذلك يجب أن أعترف بأنه يوجد حالات غامضة : الأيدز والسرطان العضال. في مرات عديدة طلبت من الله شفاء المرضى الذين كانوا يعانون من الأيدز أو السرطان المستعصي، ولم يشفهم. كان ذلك أمراً قاسياً على إيماني، و يجعلني أحياناً متردداً أن أكرر الطلبة مرة أخرى. ربّما لأنني لم أكن متأكّداً أنه قادر على الشفاء من الأيدز والسرطان! رغم

ذلك رأيته يشفي من سرطان مستعص. سأعرض لبعض هذه الحالات في الفصل التالي.

الخلاصة التي أريد أن نخرج بها؛ إن لم نطلب الرب لن ننال ما نحتاجه وإن طلبنا بدون كلل فسوف ننال منه إن كانت طلباتنا توافق مشيئته لأن رغبتنا في طلب الرب ولجأتنا في طلبه هو برهان ثقتنا فيه.

الصلاة... أم الأطباء؟

الكتاب المقدس لا يقول إن اللجوء للأطباء هو مضيعة للوقت و إستنفاد للمال ، بالرغم من وجود بعض الأمثلة على ذلك .

وجد المسيح والرسول في مناسبات كثيرة يتكلمون حسناً عن الأطباء . لوقا الطبيب كان أحد المرافقين المقربين لبولس . وصفه بولس الرسول في (كولوسي ٤ : ١٤) أنه لوقا الطبيب الحبيب . المسيح وهو الطبيب العظيم؛ قال مرة لتلاميذه: « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » (متى ٩ : ١٢) . لم يكن المقصود هو الكلام عن الأطباء، لكن كان يجيب على نقد الفريسيين له بسبب صرفه وقت أكثر من اللازم مع الخطاة. لكن نفهم من قوله ضمناً أن المسيح لم يقلل من شأن الأطباء . لدي قناعة أنه من فرط رحمته دعا بعض الناس أن يمارسوا العمل الطبي.

وإلا ماكان بهذا الجود الكبير في منح البشر هذه الحصيلة الهائلة من المعرفة الدقيقة عن جسم الإنسان وما تقوم به أجهزته المتنوعة، وكل صنوف المعرفة عن الصحة و المرض، والقدرة على تطوير طرق العلاج الطبي بتكنولوجيا متطورة. المعرفة الطبية في العالم في نمو متزايد كل يوم لأن الله حباناً قدرات ذهنية فذة بها استطعنا أن نفهم حقائق معقدة

ونكتشف تقنيات حديثة .الله غرس فينا فضولاً لإستكشاف خليقته ، وكان سخياً أيضاً في مشاركتنا بقبس من نور معرفته الهائلة. رأينا كيف تطور العلم الحديث في أوروبا بدءاً من القرن السابع عشر بسبب الإيمان المسيحي. الله الذي أعطى بعض الناس قدرة لتعلم أموراً كثيرة عن الطب. من كثرة و غزارة مجالات المعرفة ؛ يستحيل أن يتقنها شخص واحد. لذلك قسّم وصنّف المعرفة بطريقة يمكن للبشر أن يتناول كل منهم قسطاً منها. الأمر الذي أجبر البشر على تقسيم العلوم والطب إلى مئات من التخصصات الأصلية والفرعية .

تطبيق هذه المعرفة التي تؤول لمنفعة جسم لإنسان لن يأتي إلا بتعاون فرق من الإختصاصيين في المجالات المختلفة ليعملوا معاً. تعين علينا إنشاء مكتبات عامة هائلة لتحتوي على الكتب والمجلات المطبوعة، والآن يتوفر مخزون هائل من المعرفة الطبية التي يسهل الوصول إليها من خلال مواقع الإنترنت.

على الرغم من هذا التقدّم المذهل في المعرفة الطبية، فالله لم يقصد أبداً أن تغنينا عنه وتكون بديلة عن ثقنتنا فيه. اليوم، أغلب الممارسات الطبيّة في العالم يزاولها المختصون بالإستقلال عن الله. الأنظمة التعليمية في العالم تعلم أن المرضى ليسوا في حاجة لله ، إلا إن كان الكلام عن الله يريحهم نفسياً ويحتاجون أن يسمعوه. الإنطباع السائد عن الصلاة إلى الله من أجل الشفاء أنها مقبولة فقط بسبب منافعها النفسية، ليس بسبب القناعة بقوتها الشافية.

الشفاء المدعّم بالصلاة

الانتشار العالمي للطبّ العلماني لا يعد خطيراً الا لو كان مقدمو الرعاية الصحية المسيحيين مقتنعين في دواخلهم أنّ الصلاة غير مجدية. بينما

يعارض البعض هذا الرأي أود أن أ طرح سؤالاً ؛ لماذا الأطباء المسيحيون نادرا ما نجدهم يصلّون من أجل مرضاهم؟ المؤسف أن بعض الموظفين المسيحيين بالمجال الطبي يشعرون بحرج عندما يجدون زملاء لهم في المكتب يصلّون من أجل المرضى، أو يفعلون ذلك في غرفة العمليات، أو غرف المستشفى، أو وحدة العناية المركزة وبعضهم يقلقون من ذلك و يعتبرونه سلوكاً منقراً، وينتقدون ممارسته.

هذا التوجه في التفكير له بعد أكثر من مجرد إبداء الرأي. . عندما نتصرّف بالنيابة عن مرضانا بدون صلاة، ستكون العبارة التالية هي لسان حالنا الشفاء يعتمد كلياً على معرفتنا، مهارتنا، وإمكانياتنا، وكل ما يملكه المريض من قدرات تلزم لمساعدته أن يتعافى. هذا معناه أن المريض الذي يسعى للشفاء يجب أن يضع كل ثقته في نفسه وفي طبيبه. أما عن الله. . . حسناً، ما علاقته بالأمر! ذات المبدأ قائم ومطبق بين العاملين في أعمال الإغاثة، أو أولئك الذين يحاولون مساعدة الناس من خلال مشروعات التنمية، أو المشورة، أو أي نوع آخر من خدمات إظهار الرحمة. الناتج يعتمد بالتمام على المعرفة والمهارة و الإمكانيات المتاحة للناس الذين في مراكز المسؤولية والناس التي تتلقى المساعدة.

بالمباينة مع من يعالج بدون إيمان، نجد مقدم الرعاية الذي يصلّي من أجل مريضه يلتمس من الله تدخّله المباشر. إذا كان المريض يتفق معه في هذه الصلاة أيضاً، فلا يوجد ما يمنع الله أن يتدخّل بقوة ليعمل في جسد ونفس وروح الشخص المريض. بنفس الطريقة ، مدير برنامج مشروع الإغاثة أو التنمية الذي يصلّي من أجل الناس الذين يحاول مساعدتهم بقدر المستطاع يضعهم في قوائم صلواته. ، يفسح المجال لله أن يعمل بقوة وبطرق قد يصعب فهمها و يعسر تفسيرها. قصد الله

بخصوص المرضى أو المتألمين ليس مجرد إطالة العمر لإسبوع ، أو شهر ، أو حتى خمس سنوات أخرى. قصد الله لهم أن نهون معاناتهم وبعد ذلك ندعوهم ليكونوا من عائلة الله (أفس ١ : ٥)

إن الله يريد أن يكون الناس أصحاباً ويملاً أحتياجهم بغنى وهم هنا على الأرض ، لكنّه يريدهم أيضاً أن يحيوا معه إلى الأبد في أفضل مكان؛ في السماء!

مقدم الرعاية الذي يصلّي من أجل مريضه يقول لمريضه إنه بصفته متخصص محترف لكن هذا غير كاف. لذا يطلب معونة الله. هذا يفسح المجال لله أن يسكب قوته بطرق متعدّدة. وفقاً لعبرانيين ١١ : ٦ ، مقدم الرعاية، أو عامل الإغاثة، أو مدير المشروع الذي لا يطلب العون والتدخل الإلهي بجدية وإخلاص وهو يقوم بدوره من أجل مساعدة أولئك المتألمين ، ولا يتوقّع أن يتدخّل الله بصورة معجزية ، و الذي لا يظهر ثقته في قدرة الله أن يحدث فرقا فيما يقوم به من عمل، لا يمكن أن نتوقع بأنّ الله سيحرك اصبعاً لمساعدته.

عندما نستبعد الله من أعمالنا الحسنة التي بها نساعد الآخرين، يقيناً سيكون نجاح أو فشل مشروعنا يعتمد كلية على مجهوداتنا الشخصية. حتى إذا بلغت مجهوداتنا ذروة النشاط والتضحية تحسب لا شيء، إذا لم نطلب من الله أن يعيننا و لا يوجد مبرر لخيبة أملنا فيه.. الله يريد أن يعمل في شراكة معنا، لتخفيف معاناة المتألمين وتقديم الحياة الجديدة إليهم. يريد أن يبني إيماننا ويرقى به و أن نضاعف جهودنا ألف مرة لكنّه يعمل ذلك فقط إن اتبعنا مثاله وأطعنا تعاليمه.

ما هو القرار الذي نتخذه ؟

ربما هناك سبب آخر يجعل المؤمنين يتصرفون بالأحرى أكثر مما يصلون: لأنهم لا يستطيعون فهم ماهية الصلاة. بالطبع، كلنا نعرف بأن الصلاة "حديث مع الله"، لكن لم يزل الأمر يحتاج لتوضيح أكثر. ها هو السيناريو: الله موجود في السماء يعمل عمله، يسود على الكون، ويضبط كلّ شيء ، ويدير الأحداث على الأرض، ويجعل الأمور تجري كما قصد. طبقا لما ورد في الكتاب المقدس ، يسود الله على الملائكة الصالحين، وعلى الملائكة الساقطين (الأرواح الشريرة)، وعلى الشيطان نفسه . ليس ذلك فقط ، فهو وحده يعرف كلّ ما سيحدث في الأزمنة التالية، ففي (أف ١ : ٤) يقول « اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» سبق الله و قرر أن يتبنانا لنكون من عائلته.

يبدو بكل وضوح أن كلّ شيء مقرّر بواسطة الله. ذلك الإنطباع يزداد أكثر و أقوى حين نقرأ سفر الرؤيا. فصلاً تلو الآخر ، نقرأ عن سقوط ملوك وممالك، حلول مصائب ، وزوابع ، ومعارك حامية، واضطهادات شديدة ، وأخيرا ظهور المسيح.

ما جدوى الطلب من الله أن يغير أشياء سبق قد حددها ونقشها في صخر مخطّطه المقرّر؟ كيف تحسب الصلاة سوى شيء يمارس عبثاً؟ إله الكتاب المقدس ليس فقط يعرف كلّ شيء ويحمل كلّ القوّة في يديه؛ هو ثابت لا يتغير . من السخافة أن نطلب منه أن يغيّر خطّطه الكاملة ، لماذا إذن يستمع إلينا؟ إن عمل ما طلبته ، مثل نقل جبل أو إطالة عمر شخص ما خمس عشرة سنة أخرى، هل ذلك الأمر يسيء لخطّطه التي رسمها بعناية فائقة منذ زمن طويل؟ تخيل معي ماذا يحدث لو أن مليون شخص طلبوا من الله في نفس الوقت أن يعمل مع كل منهم ما اشتهاه لنفسه، و

أعطاهم؟ ألا تحدث فوضى لا حد لها ؟ "إن لم.. وهذه في الحقيقة لها ثقلها الكبير " إن لم " يكن الله كلي العلم لما توقع ما سيطلبه أولاده من طلبات خاصة، واستجاب بسرور لبعضها.

هذا ينجح في حال إن كان لدى الله أكثر من سيناريو لكل حدث محتمل. واحد في حالة طلبنا منه لعمل شيء، و آخر إن لم نطلب. خطة (أ)، خطة (ب)، وغيرهما! الكتاب المقدس والحياة تمتليء بالخطط أ، ب ، وأكثر.

اليوم الذي عكست فيه الأرض إتجاهها

في الفصل السابق ذكرت قصة الملك حزقيا وكيف أخبره الله في بادئ الأمر أنه سيموت. لكن بعد أن صلّى حزقيا إلى الله والتمس منه الشفاء ، سمع الله صلاته ووعدته بخمس عشر سنة أخرى في الحياة. سنجد القصة في (٢مل ٢٠ : ٩) حيث أخبر الله حزقيا عن طريق إشعياء النبي ، « .. هذه لك علامة من قبل الرب على أن الرب يفعل الأمر الذي تكلم به .هل يسير الظل عشر درجات أو يرجع عشر درجات.» إذاً خطة الله المفضّلة من أجل حزقيا لم تكن وليدة فكرة طارئة أو تنازل على مضض للملك الضارع ، لكنها خطة معدة مسبقاً من قبل الله وتحتوي على إعجاز مذهل.

هل طلب الله من حزقيا أن يقرر كيفية حدوث المعجزة! " حزقيا طلب من الله تحريك الشمس عشر خطوات للخلف على الساعة الشمسية لأنه الأمر الأصعب والغير طبيعي لكي يفعله له الله. قراره لم يكن تحدياً لله، لكن إعلاناً عن ثقته في قدرة الله. هذا الأمر في حد ذاته يمكن أن يسرّ الله، و يمكن أن يحدث هذا بأن تعكس الأرض مسارها أو تتراجع بهزة عنيفة. كان حدثاً مذهلاً جداً حتى أنه في السنة التالية جاء فلكيون من

بابل إلى أورشليم لمحاولة فهم ما جرى .لأن علامة حزقيا تحتاج لإيمان عظيم، سر الله بها. هل نيزك عملاق ضرب الأرض في تلك اللحظة الدقيقة أو حدثا كارثيا آخر قد وقع؟ لا ندري، لكن مهما كان السبب، الله ملزم بتهيئة الحدث مسبقاً كي يحدث. إن لم يصلِ حزقيا الملك صلاة الإيمان هذه، ما حدثت المعجزة ، وأظن أن الله سيكون غير راض أيضاً بموقفه!

هل بوسعنا أن نجعله مجدياً؟

كيف نبالي نحن، بصفتنا ممارسون طبيون بالمرضى الذين أصابهم الإعياء للغاية وعمّال الإغاثة والتنمية بالذين يساعدونهم من المنكوبين ، وكيف نجعل إصبع الله تعمل معنا من أجل الآخرين؟ الجواب بسيط:

يجب أن نطلب ونستمر في الطلب ، كم مرّة نطلب من أجل الذين نساعدهم ؟ هل بصوت مسموع؟ في حضورهم؟ أو حتى بصمت ونحن نساعدهم؟ بالطبع، يمكن أن تقع في مشكلة خطيرة إن صليت جهراً من أجل شخص تساعدّه خاصة إن كنت تعيش في الولايات المتحدة وهذا الشخص ليس مسيحياً إنجيلياً. طبيب نساء صديق لي إختبر هذا الأمر حديثاً بعد رعاية سيدة تدعي أنها مؤمنة بالمسيح كانت تعاني من نزيف مؤلم بالرحم، كانت قد تجاوزت عمر الحمل، و أرادت عمل أي شيء مطلوب لإيقاف النزيف. إقترح إستئصال الرحم لإيقاف نزفها. بعد الإستماع إلى كلّ الإجراءات والنتائج المترتبة عليها ، والمخاطر المحتملة ، وافقت على إجراء العملية.

حيث أنها قد قالت بأنها مسيحية ، قال صديقي إنه يودّ أن يصلّي من أجلها. حين وافقت، صلّى صلاة قصيرة من أجلها وهو في مكتبه، طلب حماية إلهية لها وبركة الرب على العملية. بعد سنّة أشهر، رفعت قضية

عليه ليس لأنه قصر في أدائه أو أهمل في شيء بل لأنه أجبرها أن يصلي من أجلها. لحسن الحظ، القضية ألغيت قبل المحاكمة. دعنا نفترض من أجل المناقشة بأننا نستحدث مستشفى مسيحياً في مكان ما في العالم النامي. أنه المكان الذي لا يتضايق فيه حتى المسلمين حين نطلب إن كان ممكناً أن نصلي من أجلهم قبل التخدير من أجل العملية أو في المكتب بعد الإستشارة. . تخيل أنك طبيب وتستدعي إلى غرفة الطوارئ لترى رجلاً عمره ٢٨ سنة وقد تقياً لتوه كمية كبيرة من الدم. ضغط دمّه ١٠/٦٠ . عندما تصل، تلاحظ بأن مريضك يرقد هادئاً بالرغم من أن عيونه مفتوحة لكنه ينظر إليك وهو ناعس.

بدأت الممرضات بتركيب المحاليل، وقد بدأت تجرى في عروقه. وشخص آخر يقيس ضغط دمّه كلّ بضعة دقائق، وأثناء أخذ التاريخ المرضي له وأبائه المتلهّفين أتى فني المعمل ليأخذ عينة دم من المريض لعمل بعض فحوص الدم. هذا الشاب كان مدمناً للخمر على مدى السنوات العشر الماضية. تقياً دمّ أولاً منذ أسبوعين في البيت. الطبيب الذي استشاره أخبره أن يكف عن شرب الكحول، لذا كف عن ذلك.. أكد بأنه لم يمسّ خمرًا لإسبوعين. وعند قوله ذلك ، لاحظت بأن أمّه وجهت نظرها للنافذة والأب نظر إلى الأرض. الممرضة التي تعالج المريض قالت إن ضغط دمّه الآن ٦٠/١٠٠. وفني المعمل عاد بتقرير المعمل. . إن نسبة الهيموجلوبين في دمّ الشابّ ثلاث ما ينبغي أن يكون عليه . ربما تسأل أيّ عضو في العائلة يريد أن يفحص أولاً لترى إن كانوا سيعطونه دم . تطوّعت أمّ الولد وتوجهت إلى معمل التحاليل.

بعد فحص المريض تكتشف بأن بطنه مليئة بسائل (استسقاء). هذا شيء سيء، لأن هذا معناه أن الشاب قد يكون مصاباً بتليف كبدي. الدمّ

الذي عادة يعود إلى القلب من معدته، وطحاله وكلّ أمعائه لم يعد يستطيع النفاذ خلال الكبد. بدلا من ذلك، الدمّ سوف يندفع تحت تأثير الضغط العالي حول الكبد خلال العروق التي تغذي المرئ. تلك العروق التي في المرئ يمكن أن تصل لحجم أصبعك الصغير وتسمى دوالي . وربما تنفجر أحداها في أقل من أسبوعين وتنزف دما لعدّة ساعات، وبعدها بفترة قريبة ينفجرا الآخر وهكذا ينزف كمية هائلة من الدم.

في أمريكا وأوروبا، هناك العديد من الإجراءات التي يمكن أن نختار أحدها لمساعدة هذا الشاب. في أفريقيا، هناك بعضها فقط، وهي ليست اختيارات جيدة . إذا أكدت المناظير أن الشاب مصاب بدوالي المريء فسيموت خلال أسابيع أو شهور قليلة. تصور أنك الطبيب وشرحت ذلك للمريض وعائلته. أنه يمكن أن ينزف مرة أخرى في أي وقت ، وفي المرة التالية قد تكون قاتلة. تريد نقل بعض الدمّ له لذلك احتفظت ببعض الإحتياطي، ولاحقا تعمل منظاراً آخراً لتأكيد إن كان عنده دوالي أم شيء آخر. نقل الدم والمنظار سيكلفان مائة دولار. يرمش أفراد العائلة بعيونهم ويزرِفون بضعة دموع، ثم ينظرون إلى ابنهم بقلق ، ثم يوافقون. تذهب إلى غرفة العمليات والممرضات يأخذون المريض إلى غرفته.

أنت للتو تكون قد أظهرت ما يلي:

١. أنت طبيب غربي مدرب جيداً، ربما ألطف من غيرك.
٢. إنّ حالة المريض حساسة جداً ، لكنك قادر على التعامل مع المشكلة الحالية.

٣. يجب أن يكون المريض عنده ثقة فيك وفريقك.

٤. حتى الآن، لا يحتاج أحد لله كي يعمل أيّ شيء. هل أنت موافق على ذلك ؟ إن لم يكن، فأنت ستحتاج لتوضيح دور الله إلى مريضك وتشجّع

عائلته أن يصلوا وينتظروا الله أن يعمل شيئاً! لذا دعنا نجرب هذا السيناريو مرة أخرى.

أنت توضح إلى أفراد العائلة والشاب أن عنده مشكلة خطيرة جدا سببها سنوات إدمان شراب الكحوليات. يمكن أن ينزف مرة أخرى في أي وقت كان وهذه المرة قد تكون قاتلة . و ستحتاج لنقل بعض الدم له لذا يجب أن يكون عنده الإحتياطي اللازم إذا نزف مرة أخرى وتعمل له منظراً لتري إن كان عنده دوالي مريء أم أنه ينزف من شيء آخر في معدته. قبل أن تعمل شيء من ذلك ربما على أية حال تحب أن تصلي وتطلب معونة من الله لمساعدته . هل يمكن أن تصلي من أجله؟ (الشاب وعائلته وافقوا بكل إستعداد) بصفتك الطبيب المسئول. تضع يدك على ذراع الولد وتصلي بأسلوب واضح بقدر المستطاع حتى يمكن للشاب والآخرين أن يفهموا ما أنت تصلي به.

تشكر الله على نجات الشاب وأنه على قيد الحياة حتى تلك اللحظة. وتطلب من الله في اسم المسيح أن لا ينزف مرة أخرى. ثم تسأل الله أن يعطي فريق العمل الذي معك حكمة حتى يمكنك أن تكتشف ما تحتاج أن تعرفه عن المشكلة كي تقدم العلاج الصحيح. تصلي لله كي يساعد العائلة في توفير الدم المطلوب وتصلي أن يرسل لهم المال اللازم لدفع فاتورة العلاج بالمستشفى ثم تصلي ليساعد الله الشاب وعائلته ليدركوا محبة الله لهم. تذكرهم بأن الله أرسل ابنه ليموت من أجل خطاياهم وبأنه يريد بكل قلبه أن يؤمنوا به ويكونوا من أولاده . أخيراً، تصلي أن يشجعهم الله ويرفع قلوبهم أثناء وجودهم في المستشفى، ويحمي الشاب من الشيطان والأرواح الشريرة التي تريد إيذائه (خاصة أن هذا الأمر يدعو

للقلق بشكل رهيب في أفريقيا التي يؤمنون فيها بقوة بتأثير الأرواح) وتختتم صلاتك بأن تطلب كل ذلك في اسم الرب يسوع المسيح.

بعد الصلاة، تطلب من الشاب أن يصلي لله. يهز رأسه وهو في حالة عدم توازن ، لكن لا يبدو عليه أنه تضايق من طلبك. بعد ذلك، تخبره بأن أحد القسس من المستشفى ، سيأتي إلى غرفته ويرحب به ويصافحه و يصلّي من أجله، ويجب على أيّ أسئلة تكون لديه. كل ذلك يستغرق أقل من ثلاث دقائق إضافية، وهذا ما ظهر من العائلة:

١. أنت طبيب مدرب جيداً تهتم بالمريض و تتكل على الله لمساعدتك. ثقتك هي في الله، وأنت تعرفه معرفة شخصية.

٢. إنّ مشكلة المريض خطيرة. عندك خطة لمساعدته؛ أنت تطلب من الله معونة لشفاء هذا الشاب.

٣. أنت قلق بشأن حالة مريضك الروحية؛ الله يحبّ الشاب ويهتمّ به ، وأنت تريده أن يلتقي بالله بصورة شخصية. ليس ذلك فقط ، لكن بصلاتك إلى الله، تقر بأنه الشخص الأقوى في الغرفة.

٤. تطلب الله لإرشادك، وشفاء مريضك، وليسند ويشجّع المريض وعائلته، ويحميهم من الشيطان والأرواح الشريرة التي تريد إيذاءه. وستطلب من القسيس زيارته ويصلّي من أجله.

الإحسان إلى المرضى بواسطة الصلاة:

زميل لي خدم أغلب فترة عمله الجراحي في الجيش ، شعر أن الله يدعو أن يصبح طبيباً مرسلًا في أفريقيا. بعد تسعة شهور من دراسة اللغة الفرنسية في فرنسا، وصل إلى أفريقيا ووجد نفسه يعلم الجراحة للاطباء الأفارقة المقيمين من في مستشفى مرسلتي العدد الأكبر من مرضاه من المسلمين. كان هو وكل المقيمين معه مشغولين جدا في العمل ولا يدرون

كيف يتكلمون عن المسيح مع مرضاهم. أزعجته هذه الحالة كثيرا. بعد سنتين تقريبا ، زار مستشفى أصغر تدار بواسطة إرسالية أخرى في نفس المنطقة من البلاد. لتسهيل المحادثات الروحية مع المرضى المسلمين، جعلت المستشفى عن قصد كلّ الغرف الجديدة للمرضى فردية ليقيم مريض واحد في كل غرفة.

في أمسيات أيام الخميس، يتوزع موظفو المستشفى في شكل مجموعات تذهب إلى كل المرضى ويطلبون منهم إن أمكن أن يصلوا من أجل شفائهم أو أيّ مشاكل أخرى قد تكون لديهم .كلّ المرضى تقريبا يوافقون على هذا الطلب. فكان مندهشاً من الأبواب التي فتحت للكلام مع المرضى. إستمع إلى القسس، ولاحظ علاقتهم بالمرضى، وسأل بعض الأسئلة بشأن طريقة مشاركة المرضى برسالة الإنجيل.

عندما عاد إلى المستشفى التي يعمل بها ، تكلم مع زملائه المقيمين معه ليعملوا نفس الشيء. صاروا يلتقون كل أسبوع لدراسة الكتاب المقدس والصلاة لمدة ساعتين، لكنهم قرروا تغيير جدولهم ويعملون " حلقات صلاة" من أجل مرضاهم بجانب سرير كلّ مريض كل اسبوعين ، كان أعضاء الفريق يوضحون أنهم مسيحيون وجاءوا ليطلبوا من الله أن يتدخل من أجل خير المريض.. الجراحون وزوجاتهم كانوا مندهشين من مظاهر الإمتنان والبهجة التي عبّر بها أغلب مرضاهم عن شكرهم للاطباء عندما صلوا من أجلهم . مع ذلك سبعون بالمائة من المرضى كانوا مسلمين، صحيح أن قليلين منهم فقط قد رفضوا هذا العرض لكن لم يستاء ولا اشتكى أحدهم.

في إحدى الليالي صلوا من أجل رجل اسمه زكريا كان يعالج سابقاً من السلّ الرئوي لوقت طويل. عالجه الفريق الجراحي مرتين بعد فشل

رثيته . عاد هذه المرة للمستشفى وهو مصاب بورم كبير في كبده وكيته ولم يكن ممكناً إجراء جراحة له وهو الآن يحتضر . عندما سأله الجراحون إن رغب في أن يصلوا من أجله، أجهش زكريا في البكاء . أخبرهم بأنه من سنوات عديدة مضت ارتكب ذنباً فظيلاً في حق شخص آخر ، والآن هو يطلب الغفران . سمع رسالة الإنجيل قبل ذلك، لكن لم يسبق له أن وضع ثقته في شخص المسيح . صلّى في ذلك اليوم ليقبل المسيح في قلبه وتعهد بعد ذلك مؤخراً . الجراح الذي أخبرني هذه القصة علق بقوله: «هذا الأمر لا يتكرر كثيراً في المرور اليومي على المرضى لكن حين نقصد أن نأتي بجانب سرير المريض ونطلب الرب من أجل الحالات التي تحتاج لتدخل إلهي عاجل فالله يهيء المجال ويفتح القلوب» .

موقف هذا الطبيب الذي جعل في قلبه أن يتبع تعاليم المسيح في خدمة المرضى كان له أثراً كبيراً على المستشفى بأسرها . وترك مثالا احتذى به الجراحون الذين تدربوا على يديه واستمر هذا التأثير لبقية حياتهم .

الخلاصة الختامية

أي من هذين الفردين يمثلك ؟ إنَّ المبدأ بسيط: "بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله."

إن تجاهلت هذا المبدأ وأنت تساعد المريض أو أولئك المتألمين فستبقى كما أنت بلا تغيير .

في الفصل التالي سنرى كيف أن الله قادر على شفاء الجسم البشري بصورة معجزية ، بعيداً عن قدرة الجسم الداخلية لشفاء نفسه بنفسه، سواء بتدخل أو بدون تدخل طبي .

الفصل السابع

الشفاء المعجزي

« ولما جاء الى البيت تقدم اليه الاعميان .فقال لهما يسوع أتؤمنان اني اقدر ان افعل هذا .قالا له نعم يا سيد .حينئذ لمس اعينهما قائلاً بحسب ايمانكما ليكن لكما»
(مت ٩ : ٢٨ ، ٢٩)

هل رحمتنا ممتزجة بالإيمان والصلاة من اجل شفاء المرضى؟ أم نسلّم بها على سبيل الشعوذة الروحية لنواكب ما يحدث في العالم من حولنا؟ هذا السؤال قد يكون مضجراً وغير مستساغ للمسيحيين المتخصصين في المجال الطبي على وجه الخصوص . على سبيل المثال ، نحن نعرف من واقع خبرتنا المحدودة في أمريكا الشمالية وأوروبا أنه بالكاد نسمع عن اختبارات حقيقية من مرضى إختبروا شفاء من السرطان بصورة معجزية . في الحقيقة بعضنا لم يشهد أي شفاء معجزي . لكن إن رأينا ذلك فهل نؤمن بأنه يحدث؟ هل سيصدقنا أحد إن شهدنا عن ذلك؟ وإن وثّقنا ما شهدنا فهل ستكون هذه الأدلة الوثائقية كافية أن تجعل شهادتنا تصدّق؟

أقول بخجل من نفسي أنني مرات أرسلت مرضى - ليس لهم علاج طبي - ليموتوا في بيوتهم دون أن أعرض عليهم ولو مرة واحدة فرصتهم أن يضعوا ثقتهم وإيمانهم في المسيح ، وأنه قادر أن يشفيهم . أظن أنني لست وحدي الذي يفعل ذلك . إلى أي مدى نحن مستعدين أن نكون رحماء مع الذين وقف الطب عاجزاً عن تقديم علاجاً طبياً لهم؟

اللحاجة في الطب

ناقشنا حقيقة أنّ المسيح شفى الناس بلمسة من يده، أو كلمة من فمه. قد يكون هناك بعض المؤمنين الذين لديهم ذات النوع من الخدمة بصورة ثابتة ، بالرغم من وجود ما يكفي من الدجالين حولنا لدرجة تزيد من صعوبة التمييز بين ما هو حقيقي وما هو مزيف. هناك العديد من المؤمنين، وأنا منهم ، الذين لا يعتبروا أنفسهم في مصاف صانعي المعجزات، لكنني بين الحين والآخر أصلي بلجاجة من أجل شفاء شخص وأرى استجابة الرب.

في يعقوب ٥ : ١٤ يوصي الرسول يعقوب المؤمنين أن يطلبوا من أجل الشفاء. «أمريض احد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له» منذ حوالي خمس سنوات، بدأت زوجتي "بيكي" تعاني من الدوخة. حالتها ساءت مع الوقت لدرجة جعلتها بالكاد قادرة على السير. الإختصاصيون الذين إستشروناهم أكدوا لنا التشخيص الذي اشتبهنا فيه؛ كان لديها مشكلة داخل أذنها، تجعلها لا تستطيع السيطرة على توازنها.

هذا العضو الصغير المعقد والمذهل (المسئول عن الاتزان والموجود بالاذن)، له دور كبير في حفظ توازن الإنسان، فهو يمنعنا من السقوط أثناء وقوفنا وسيرنا، حتى لو تحركنا و نحن مغمضون عيوننا. الإختصاصيون أعطونا خطة العلاج اللازم بالتفصيل لمحاولة إعادة موقع "الحصوات" الصغيرة جدا داخل العضو الدهليزي والتي تتدحرج على قمة شعيرات دقيقة جداً من العصب السمعي أثناء حركتنا. شعيرات العصب ترسل رسائلها للمخ لتخبره إن كان الطريق لأعلى أو لأسفل وأيضاً الإتجاه الذي نتحرك فيه. التمارين التي أوصى بها الإختصاصيون "بيكي" تلزمها أن تحني رأسها بصورة متكررة في أوضاع محددة لتعيد هذه الحصوات الدقيقة إلى المواقع التي ينبغي أن تكون فيها. هذا العلاج - في المعتاد - يساعد من يعاني من هذا المرض، لكنّه لم يفيد بيكي في شيء. الإختصاصيون الذين إستشروناهم أوصوا بنوعية مختلفة من الأدوية المشهورة بفعاليتها ، لكن لم تجدي أيضاً معها. بعد ذلك بشهر ، طلبنا من بعض القساوسة الأفارقة والمرسلين أن يدهنوا "بيكي" بزيت ويصلوا من أجل شفائها. مع أنه كان لدينا آمال كبيرة، لكن لم نري أي تغيير.

مرت الشهور ، و"بيكي" تصارع من أجل إنجاز أبسط المهام المنزلية. لا تستطيع أن تقود السيارة ، ولا تستطيع أن تمشي دون الإستناد على شيء ، وفقدت شهيتها للأكل. في خلال ثواني من الزمن طلبت من قادة كنائس ومرسلين أن يدهنوها بزيت ويصلوا من أجلها مرة أخرى ولم يحدث أي شيء. بدأنا نفكر في أن إرادة الله لبيكي أن تتعايش مع المشكلة. بمرور الشهور الطويلة، فقدت بيكي وزنا ملحوظاً، لدرجة أقلقنتني. كتبت للذين يدعموننا وطلبت منهم الإستمرار في الصلاة من أجل شفاء بيكي.

بعد حوالي ستة شهور من بداية الدوخة، كنت أنا و بيكي في عاصمة الجابون. جاءت بنتنا رايتشل لزيارتنا لمدة شهر، إلى أن حان وقت سفرها لتعود إلى الولايات المتحدة. المرسلون زملاؤنا دعونا إلى حفل وداعي أقيم لتوديع عائلتين سيغادران الجابون للخدمة في مكان آخر وحيث أننا كنا نريد أن نودع أصدقائنا على الرغم من الدوخة التي تعاني منها بيكي، لذا قبلنا الدعوة.

ساعدت بيكي في الحصول على غذائها ووجدت لها كرسي تحت ظل شجرة في الفناء الخلفي. كنا نجلس ونتكلم مع أصدقائنا و أثناء وقت الراحة سمعت الرب يقول لي : أطلبوني مرة أخرى. لم أكن متأكد إذا كان هذا خاطر الذي راودني من الرب أم لا. لكن كان لدي شعور أنه من الرب. بعد أن انتهى وقت إلقاء الكلمات الوداعية، طلبت من ثلاثة أو أربعة من أصدقائنا المجيء معنا إلى البيت، ليدهنوها بالزيت مرة أخرى ويصلوا من أجلها. كانوا سعداء بذلك. واحد منهم وجد قليل من زيت الطعام فدهن به جبهة بيكي، وكثيرون صلوا وطلبوا من الرب أن يلمسها ويشفيها تماماً من الدوخة التي تعاني منها. كنا في ذلك الوقت في حاجة ماسة للشفاء لدرجة أن الدموع كانت تسيل من عيني وهم يصلون من أجلها. لم يكن هناك صياح أو شيء مثير كل ما في الأمر هو أن الخمسة أشخاص كانوا يصلون بلجاجة إلى الأب كي تتحسن حالة بيكي. بعد آخر أمين ، كانت بسمه الرجاء ترسم على وجوهنا جميعاً ثم عدنا للإيضام مع باقي أصدقائنا حتى نهاية الأمسية.

في صباح اليوم التالي عندما إستيقظت بيكي ، كانت الدوخة قد إختفت! والأروع من ذلك، أنها لم تعود أبداً. لا أعتقد أن الله شفاها لأن أولئك الذين صلوا كانوا أكثر تقوى أو كان عندهم إيمان أعظم من الذين فعلوا ذلك قبلاً. أظن أن الله إنتظر حتى

رأى أننا لم نستسلم ولم نكل في الطلب من أجل شفاء بيكي. لأننا ثابرنَا، فعل الله ما كان دائماً يقصد أن يفعله، لكن ربما ما كنا نختبر ذلك لو لم تكن قد طلبنا مرة أخرى. هذه الرغبة في المثابرة سأطرق إليها مرة أخرى في هذا الفصل. قال يسوع : « اسألوا تعطوا .اطلبوا تجدوا .اقرعوا يفتح لكم لان كل من يسأل يأخذ .ومن يطلب يجد .ومن يقرع يفتح له» (مت ٧ : ٧)

رفض وإثبات

دعني أختتم هذا الجزء بقصة واقعية أخرى لشخص قد شُفي ،أعرفه شخصياً. من عدة سنوات أتت أم بابنها "اسحق" البالغ من العمر ثمانية سنوات، إلى المستشفى بسبب ألم شديد جداً في بطنه وأورام لمفاوية كبيرة ظاهرة في رقبته. ظهر المرض قبل عدّة شهور من ذلك الحين وكان يتطور بسرعة. بعد الفحص الطبي، وجدت بأنّ عنده أورام لمفاوية كبيرة في رقبته، وتحت إبطيه، وثنية فخذ مع وجود تضخم ملحوظ في الكبد والطحال. كشفت أشعة الموجات فوق الصوتية عن وجود أورام في كبده وطحاله. لم يكن لدينا إمكانية عمل أشعة مقطعية كما أن الأم لا تستطيع أن تأخذ ابنها إلى العاصمة لكي تعملها له، فعرضنا عليها عملية للإستكشاف المبدئي لبطنه، وافقت الام فأخذنا الولد للجراحة.

وجدت عدد كبير من الأورام الليمفاوية منتشرة بصورة يستحيل إزالتها بالجراحة. وتأكدنا من التشخيص بعد أخذ العينة. بعد أن استفاق الولد من الجراحة، وذهب إلى البيت بعد ذلك بعشرة أيام، عاد إلينا بعد إسبوعين من أجل المتابعة. كانت عضلاته ضعيفة جداً في ذلك الوقت ، وبدا عليه الوهن والضعف الشديد. في نهاية فحصي، سألتني الأمّ عما إن كان إسحاق سيتحسن. تردّدت لحظة، لكن رأيت أنها تحتاج أن تعرف الحقيقة كما هي وليس لمجرد تهدئة المشاعر.

قلت لها بأسلوب رقيق بقدر المستطاع: يا ماما لا يوجد شيء بوسعنا أن نعمله لإبنك أكثر من ذلك ، لكن يمكن أن أعطيك اسم طبيب أورام في ليرفيل هو الذي يمكن أن يعالجه بالأدوية القويّة اللازمة. هزّت رأسها، وشرحت لي كيف أن العائلة لا تملك من المال ما يكفي لإرسال الولد إلى العاصمة ، وجرت الدموع على خديها. يأسها أعطاني الأمل، لأسألها : "هل تؤمني أن يسوع يستطيع أن يشفي ابنك؟ كنت

أعلم بأنها قد سمعت الإنجيل من قسيس المستشفى ومن فريق العمل أثناء فترة علاج
إبنها بالمستشفى ، ولكنها لم تصبح مؤمنة بعد. لذلك فوجئت إلى حد ما حين أوامت
برأسها وقالت، "نعم! من فضلك، أرجوك، صلي ليسوع أن يشفي إبني! ففعلت ذلك،
بقدر ما استطعت أن استجمع من إيمان في كياني.

بعد ذلك قلت لها، "بعد أن تعودى للبيت ، أريدك أن تتكلمي مع المسيح كل يوم
وتتوسلي إليه من أجل شفاء إبنك. هل تفعلين ذلك؟" أوامت رأسها مؤكدة. أعطيتها
دواء لتسكين ألم إبنها وحددت لها موعد للعودة بعد شهر.

مر شهر، والسيدة لم تظهر. بعد شهرين من ذلك الوقت إستتجت أن الله لم يشفي
الولد وبأنه مات. مضت ستة شهور و نسيت الأمر تماماً.

في أحد الأيام بينما كنت على وشك أن أفتح مكتبي في المستشفى جاءت سيدة
من ورائي وطلبت مقابلي لتتكلم إليّ. أحببتها دون أن ألتفت إليها بأنه لا يمكن أن
أراها دون تحديد موعد مسبق. ظلت تتوسل لي وأنا أمر من الباب فاستدرت وشرحت
لها أنه لا يمكن أن أقابلها قبل المرضى المقرر أن أراهم حسب جدول المواعيد
المحدد. قاطعتني وقالت، "لكن يا دكتور، هذا هو إبني الذي شفاه المسيح!" كان
يقف خلفها صبي بصحة جيدة عمره حوالي تسع سنوات. ، وعندما حدقت فيه ،
تذكرت في الحال أنه "إسحاق"، ذلك الولد الذي كان عنده الأورام اللمفاوية و صليت
من أجله! زاد طولته حوالي بوصة على الأقل وزاد وزنه حوالي ستة كيلوجرام. أخذتهما
على الفور إلى المكتب وطلبت من الأم أن تقص لي ما حدث.

شرحت لي أن بعد عودتها إلى البيت ، كانت تصلي بصورة يومية للمسيح بلا
كلل كي يشفي إبنها. بعد إسبوع بدأ يشعر بالتحسن وفي ذلك الوقت لم تكن قادرة
على الحصول على المال الكافي كي تأتي إلى المستشفى في الموعد الذي حددته
لها حتى ذلك اليوم. جرت الدموع من عينيها وهي تروي ما حدث معها، وبكيت أنا
أيضاً معها. إن لم نطلب بلجاجة لا نتوقع أن يسوع يشفي. وأحياناً عندما يسر
بإيماننا، يستجيب حتى لأشبه الصلوات.

ما يبحث الله عنه

قصة إسحاق تبرز ثلاث أوجه هامة للإيمان الذي يوجد في أغلب الأحيان لدى

أولئك الذين يشفيهم الله بصورة معجزية.

الوجه الأول: هو السعي الحثيث إلى الشفاء من قبل أولئك الذين يضعون ذلك أمامهم.

الوجه الثاني: هو الثقة فعلاً في قدرة الله على الشفاء.

الوجه الثالث: هو أن الله يكافئ أولئك الذين يرغبون في إختبار الشفاء.

في أغلب الأحيان من واقع خبرتي (مع أنه ليس دائماً!) أن أولئك الذين يثابرون في الطلب ينالون الشفاء بالرغم من الملابس الكثيرة المحبطة. الله لا يحتاج لمناورات لكن محبته ورأفته بأولاده عظيمة جداً.

مثال للوجه الأول للإيمان نراه في (متى ١٥ : ٣٠) «فجاء اليه جموع كثيرة معهم عرج وعمي وخرس وشل وآخرون كثيرون .وطرحوهم عند قدمي يسوع .فشفاهم» كلما قرأنا تلك القصص كلما تصورنا كم هو صعب على الناس أن يجدوا المكان الذي يتواجد فيه المسيح في وقت ما، ثم عليهم أن يشقوا طريقهم وسط الجموع الحاشدة ليأتوا إليه بالعرج والمفلوجين والعمي وغيرهم من ذوي الإعاقات.لم تكن لديهم الوسائل الحديثة لنقل المرضى ولا هواتف محمولة ولا كراسي متحركة . كانوا يحملون الناس إلى يسوع! ياله من مجهود! كم كان إيمان هذه العائلات هائلاً! الحالة تلو الأخرى كانت تجعل مشاعر يسوع الرقيقة تتحرك كما كانت تثير إعجابه أيضاً.

قارن ذلك بما نفعله اليوم في سبيل تقديم مساعدة لمرضانا . كم منا مستعد أن يقود سيارته ويأخذ أفراد العائلة إلى الكنيسة حين يطلب الواعظ أن نأتي بهم على النقالة أو الكرسي المتحرك كي يدهنوا بالزيت وترفع صلاة من أجلهم كي يشفوا؟ معظمنا مستعد لتوصيل المرضى من أفراد عائلتنا لمكاتب الأطباء و المستشفيات في جميع أنحاء البلد، ولو حتى من أجل تسكين الألم فقط . في الثقافة الأمريكية، منسوب الثقة في الشفاء الإلهي منخفض جدا لدرجة أن الفكرة في حد ذاتها غير مستساغة. إن كانت هذه طريقة تفكيرنا فما الذي يحرك المسيح كي يفعل شيئاً لنا؟

مثال للوجه الثاني للإيمان الذي يشفي، "بارتيمائوس الأعمى" . قصته مذكورة في (مرقس ١٠ : ٤٦ - ٥٢) « وجاءوا الى اريحا .وفيما هو خارج من اريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيمائوس الاعمى ابن تيمائوس جالسا على الطريق يستعطي فلما سمع انه يسوع الناصري ابتداءً يصرخ ويقول يا يسوع ابن داود

ارحمي .فانتهره كثيرون ليسكت .فصرخ اكثر كثيرا يا ابن داود ارحمني . فوقف يسوع وامر ان ينادى .فنادوا الاعمى قائلين له ثق .قم .هوذا يناديك .فطرح رداءه وقام وجاء الى يسوع . فاجاب يسوع وقال له ماذا تريد ان افعل بك .فقال له الاعمى يا سيدي ان ابصر . فقال له يسوع اذهب .ايمانك قد شفاك .فللوقت ابصر وتبع يسوع في الطريق .»

طالما أدهشني في بارتيمائوس، جرأته وإصراره . يبدو المسيح أنه قد تجاوزه قليلاً ، وكانت الناس تطلب منه أن يكف عن الصياح وأن فرصته قد فاتت . الجموع التي التفتت حول المسيح كانت حائلاً يمنع إقتراب رجل أعمى إليه لكن بارتيمائوس لم يعبأ بما يفكر به الناس وظل يصرخ بأعلى صوته كي يستوقف المسيح حتى بلغ صراخه أذني المسيح فتوقف ودعاه أن يأتي إليه .

ألقي بارتيمائوس رداءه ولعله لا يملك غيره وركض نحو المسيح الذي وقف وانتظره . ورغم كل ذلك أراد المسيح أن يسمع من فمه ما يبرهن عن إيمانه فسأله عما يريد أن يصنع له . أجاب بارتيمائوس بما يمكن أن تحتويه أبسط صلاة: « يا سيدي أن أبصر » لأنه كان مصراً أن ينال ماطلبه ، علم المسيح أصالة إيمانه فحقق مطلبه .

الوجه الثاني للإيمان كما رأيناه في قصة إسحاق ، والذي نجده في أغلب قصص أولئك الذين اختبروا الشفاء الإلهي في أيامنا؛ أنهم يؤمنون حقاً بقدره الله على شفائهم .

عندما نطلب من الله أن يفعل شيئاً لنا دون أن نؤمن نشبه ما فعله زكريا أبو يوحنا المعمدان . في (لوقا ١ : ٦) نقرأ أن زكريا وزوجته أليصابات كانا كلاهما بارين امام الله سالكين في جميع وصايا الرب واحكامه بلا لوم . على أية حال ، حين ظهر جبرائيل إلى زكريا وأعلن له بأن طلبته قد سمعت ، قال زكريا للملاك كيف اعلم هذا لانني انا شيخ وامراتي متقدمة في ايامها . ؟ "الله لم يغيّر رأيه ، لكن بسبب شكّه وبخه جبرائيل وأصبح زكريا أخرس حتى ولد إبنه وبطاعة للرب دعا اسم ابنه يوحنا . كثيرون ممّا نشأوا في الكنيسة ويتبعون المسيح ولديهم ذات النوع من الشك فهل الله ملزم أن يعلن عن نيته أن يشفينا بصورة معجزية! .

في (لوقا ١١ : ٥-١٠) علّم المسيح تلاميذه هذا المبدأ من خلال مثل قاله لهم

« .. من منكم يكون له صديق ويمضي اليه نصف الليل ويقول له يا صديق اقرضني ثلاثة ارغفة . لان صديقا لي جاءني من سفر وليس لي ما اقدم له . فيجيب ذلك من داخل ويقول لا تزعجني . الباب مغلق الآن واولادي معي في الفراش . لا اقدر ان اقوم واعطيك . اقول لكم وان كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فانه من اجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج . وانا اقول لكم اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم لان كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد . ومن يقرع يفتح له » . نميل إلى إقتباس الآية الأخيرة بدون الإشارة إلى المثابرة في الصلاة التي يبينها المثل الذي سبق هذا التعليم .

الوجه الثالث للإيمان كما هو واضح في قصة " الصبي إسحاق " والتي نجدها غالباً في أولئك الذين اختبروا شفاء في أيامنا؛ أن الله يكافئ أولئك الذين يرغبون في إختبار الشفاء . قال المسيح للشابّ المفلوج الذي نقب أصدقائه سقف البيت المزدهم وأنزلوه حيث كان يسوع يعلم : «قم واحمل سريرك وامش » (مر ٢ : ٩) هل أجاب الشابّ وقال : لا أستطيع! ألا تعلم أنني مفلوج؟ "أشكّ إنه كان سيمشي أبداً إن أجاب هكذا .

سنتعرض في الفصل التالي للحديث عن أخطر نوع من التشويش البشري؛ ذلك الداء الغريزي الذي يولد به كل إنسان و كيفية علاجه .

الفصل الثامن

أعظم الأخبار

الله لم يدعونا لكي نقدم ببساطة للناس ما يساعدهم على الشفاء ثم نتركهم في خطاياهم ، لكن لنركز لهم بإنجيل الخلاص بواسطة شخص المسيح.

من عقود مضت عندما كنت طبيب تحت التدريب كنت مكلف برعاية رجل مريض متقدم في العمر ، مصاباً بسرطان في البروستاتا. كان يحتاج لجرعات كبيرة من مسكنات الألم كان يعرف كل ما نعرفه نحن عن حالته ؛

يعرف بأنه يحتضر. دور رعاية المرضى الذين يحتضرون لم تكن متوفرة في تلك الأيام. كثير من مرضى السرطان يصرفون آخر أيامهم أو أسابيعهم على أسرة المرض في المستشفى في غرفة خصوصية أو شبه خصوصية. تتوقف على إمكانية عائلة المريض. في معظم الأيام يستقبل مريض زائراً واحداً على الأقل في اليوم، و يبقى في غرفته وحيداً طيلة الوقت المتبقي من اليوم. أشفقت عليه ، لذلك كلما توفر لدي بعض الدقائق الإضافية، كنت أجيء إليه وأتكلّم معه. كلما دخلت غرفته، وجدت ابتسامة ترسم على وجهه. مرة كنت مكلف بعمل في وقت متأخر حين استدعتني ممرضته وطلبت مني رؤيته. يبدو أنه أحجم عن تناول المسكنات التي نعطيها له حتى تخفف من آلامه. كتبت له طلب صرف دواء يساعده وكننت على وشك أن أغادر المكان حين جال بذهني هذا الخاطر: لماذا لا أرافقه لبضعة دقائق أخرى ؟ "من الواضح أنه وحيد، وكما أنني لست في عجلة ولا يوجد عندي شيء أكثر أهمية لأعمله. نظر إليّ الرجل العجوز باندهاش عندما رجعت إلى الغرفة وأشار إلى الكرسي الذي بجوار السرير وقال: "إجلس واسمعني دقيقة!"

وافقته وجلست. على مدار الدقائق الخمسة عشر التالية كان يخبرني عن حياته، وعائلته، وإنجازاته، وأخيراً إحدى أعظم إحباطاته فقال: "إعتقدت حين تقاعدت، أنني سأتمتع أخيراً بالحياة وأنهى السنوات الأخيرة في أشياء مسلية" ثم قال بنبرة حزينة وصوت مختنق: "لدي كل ما أريده من مال لكن ما عاد يهمني في شيء، ها أنا الآن بالكاد أرى شخص من عائلتي آتياً ليراني. لم يعد لي أية قيمة"

ترددت لحظة لأنني كنت خائفاً من رؤسائي، لكن لأنني أردت من قلبي أن أساعده فقلت له: "هل تعرف الله؟" تطلع إلي بشيء من الإندهاش. ثم أجاب: "أنت تؤمن بالله، أليس كذلك؟ . أوأمأت بالإيجاب. قال: "حسناً" ثم صمت برهة وبعدها قال: "كيف لشخص ما أن يعرف الله؟" تكلمت للنصف ساعة التالية، معه من سفر التكوين بدءاً بقصة الخلق حتى سؤال نيقوديموس للمسيح في الأصحاح الثالث من انجيل يوحنا بشأن كيفية خلاصه.

كان الرجل العجوز ينصت باهتمام شديد، واغرورقت عينيه بالدموع التي كادت تسيل على خديه و بعد لحظات من الصمت سألني: "وبماذا أجابه المسيح؟" قلت: أخبره أنه ينبغي أن يولد ثانية حتى يمكن أن يدخل ملكوت الله. نظر إلي بنظرة توحى بعدم فهمه فاقتبست ما قاله الرسول بولس « لانك ان اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك ان الله اقامه من الاموات خلصت.» (رومية ١٠ : ٩).

تحدثنا عن ما يعنيه ذلك ، لمدة خمسة عشر دقيقة تقريباً ثم سألته، "هل تؤمن بأن الله أقام المسيح من بين الأموات؟" أجاب دون أن يتردد لحظة واحدة: "نعم، أومن، لأنني أعرف أن ما قلته هو حقيقي. لقد عملت كثير من الأشياء في حياتي و التي أعرف أنها خطأ وأنا نادم عليها. والآن أموت وأنا خائف.

أومن أن المسيح حي، وأنه ابن الله، وأريده أن يغفر لي! " نبض قلبي حماساً وأنا أقود الرجل العجوز في صلاة الإيمان. بينما كنا نصلّي ورؤوسنا منحنية، انفتح الباب ودخل الطبيب الذي يرأسني . فتحت عيني ورأيتة واقفاً في الممر. كانا باديا على وجهه علامات الدهشة والإستياء، يخبرانني بأني وقعت في مشكلة. إستدار في مكانه ومضى. عندما أنهينا الصلاة، فتح الرجل العجوز عينيه ونظر إلي والدموع على وجهه. قال لي بصوت متهدج وبتأثر ملحوظ: "أشكرك أيها الشاب". مد يده وصافحني وشد على يدي بقدر مايملك من عزم . قضيت معه بضعة دقائق أخرى أتكلم معه وأهنئه على إيمانه الجديد. شجّعته على الصلاة باستمرار ويطلب معونة الرب له في آلامه التي يقاسيها خصوصاً أن وقته قصير. وجدت نسخة من الكتاب المقدس للجدعونيين في الكوميدينو، بجوارسريه فأخذته وفتحت إنجيل يوحنا وأريته له كي يقرأ فيه حين يشعر أنه قادر أن يفعل ذلك . كان يعلم أنه يجب علي أن أمضي فصافحني مودعاً وقال لي مرة أخرى: " شكراً يا ابني على مساعدتك لي"، لم أقل شيئاً، ضبطاً لمشاعري ، واكتفيت بابتسامة ولوّحت له بيدي عند الباب؛ ودعته كما وعدته قائلاً: "أراك في الغد! "

رئيسي كان ينتظرنى في مكتب التمريض بوجه عابس. أخذني جانباً وسألني، "ما الذي فعلته في رأيك؟ هل تعتقد أنك تعمل هنا واعظ المستشفى أو قسيس؟ هل نسيت سبب وجودك في هذا المكان؟" وضحت له - بقدر ما ملكت من هدوء - أن هذا الرجل العجوز يحتضر لذلك حاولت أن أشجعه وأساعده أن يكون مستعداً للموت.

هزّ رأسه بإشمئزاز وقال " اسمع جيداً. أنت هنا طبيب تحت التدريب. ليس من شأنك الأمور الدينية بل رعايتهم صحياً والتأكد أنهم يتحسنون وهكذا تكون لك فرصة أن تتعلم كيف تصبح طبيباً كما ينبغي أن يكون. هذا معناه أنك يجب أن تفهم أمراضهم و تصل للتشخيص الصحيح حتى يمكنك وصف العلاج المناسب. إن لم تتمكن من تحسين حالة مرضاك، على الأقل يجب أن تتأكد أنهم لا يتألمون بلا داع. إن كنت قلقاً بشأن أرواحهم ، استدعي القسيس كي يتكلم معهم. توصيفك الوظيفي هو أن تكون طبيباً لمريضك وأي شيء آخر فلا شأن لك به. أتفهم ذلك؟

حاولت أن أوضح الموقف أكثر، لكنّه قاطعني. "إن كررت ذلك سأبلغ عنك رئيس القسم الطبي صباح الغد عندما نقوم بالجولة الصباحية!" أدهشني موقفه وغضبه. قلت له "اعتقدت أنك مؤمن" ، قال. "أنا كذلك! ثم تمتم بفمه، وحدث في وجهي كما لو كنت أهذي. ثم قال بلهجة شديدة " لكن الطبيب لا يمكنه التجول والحديث مع المرضى عن الله، ليس دورنا كأطباء أن ندعو الناس إلى ديننا. إذا احتاج مريضك إلى مساعدة روحية، استدعي القسيس! فى غيظ فكرت أن أفتح الموضوع مع الراهبات الكاثوليك المسئولات عن إدارة المستشفى، لكن لعله من الحكمة أن أتركه وشأنه.

كنا فريقاً يقوم بالجولة الصباحية مع الطبيب المدرس في صباح اليوم التالي. عندما إقترنا من غرفة الرجل العجوز وجدنا جمع من الناس واقفين عند المدخل أمام غرفته لدرجة أننا لم نستطيع المرور من كثرتهم. على ما يبدو أن مريضى الذي كان شخصاً معتبراً ، وقد اقتربت النهاية ، شعر كل واحد بالحاجة أن يأتي ويريه وجهه. شق الطبيب الأقدم فينا (الذى عنفنى بالامس) طريقه إلى الغرفة لرؤية ما يجري وعاد بعد دقيقة ليقول: "لا جدوى من الدخول لأن الرجل العجوز فى غيبوبة ولن يدوم الأمر طويلاً. لم ينظر إليّ وواصل سيره فى الجناح متجهاً نحو الغرفة التالية.

حاولت أن ألقى نظرة وأنا أمر على غرفة صديقي، لكن كل ما أمكنني رؤيته هو تجمع أفراد عائلته حول سريره. من المفترض أن أكون حزينا لكن فى الحقيقة كنت أشعر بارتياح. أعرف بأننى سأراه ثانية لأنه آمن، ، لكن سأراه فى حال أفضل.

لكن ما أحزننى وأزعجنى بالفعل هو رؤية مؤمن يعارض شخصاً يقدم لمن يساعدهم الأخبار السارة سواء أثناء رعايتهم صحياً فى مستشفى أو حتى فى مخيم لاجئين.

بروفيسير مسيحي أخبرني مرة أن الكرازة للمتألمين تصرف غير أخلاقي لأنه يضع المستمعين في موقف يرغمهم على التجاوب.

هذا الموضوع لم يبدو مقلقاً هكذا للمسيح عندما كان يعلم وبعد ذلك يشبع مستمعيه الجياح، ليس مرة بل مرتين. عندما بدأ بعض من أولئك الذين أشبعهم في الاعتقاد أن تبعية المسيح يمكن أن تكون تذكرة لوجبة مجانية، وبّخهم على ذلك . لكن المسيح لم يعلم تلاميذه أن يكفوا عن الكرازة لمن يساعدهم.

من المؤكد أنه يجب على المؤمنين أن يكونوا حذرين ألا يربطوا المساعدة المادية بتقديم الإنجيل. لكن أنتخار حقا أنّ نصمت ولا نبالي بموت الناس في خطاياهم ، متجاهلين العرض الإلهي المقدم لهم لغفران خطاياهم ؟ إذا كان جوابنا نعم، فما أقسى مشاعرنا تجاه الناس الذين أتى بهم إلينا الله لنساعدهم.

ربما يتضايق البعض بشأن تقديم الإنجيل لسبب آخر ألا وهو أنهم أنفسهم قد رفضوه وانتمائهم للكنيسة له أسبابه الأخرى. إيمانهم المكتوم يعتبر أن أطف شيء يمكن أن يعملونه لشخص لا يعرف الله، هو أن يظلوا صامتين عن إعلان العرض الإلهي للخلاص والغفران لكل من يدعو باسمه!

مشيئة الله من جهة الخطاة

كتب جون ستوت في كتابه الإرساليات المسيحية في العالم الحديث: "أي شيء يمكن أن ينقص من كرامة الإنسان وجب أن ننزعج له. وهل يوجد شيء أكثر تدميراً للكرامة الإنسانية كالبعد عن الله بسبب الجهل أو رفض الإنجيل؟"

يبدو إن العديد من المؤمنين في أيامنا، مقتنعين بأنّ الله سيصفح ببساطة عن تمرد الناس غير التائبين في النهاية. لكن ليس هناك أدنى دليل سواء في الكتاب المقدس ولا حتى في التجربة البشرية يدعم هذه الفكرة. ما قاله المسيح بمنتهى الوضوح أن كل من يؤمن به ويتوب عن خطاياها هو الذي يخلص.

يذكر الله هذا المبدأ في (٢ بط ٣ : ٨) « لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد ايها الاحباء ان يوما واحدا عند الرب كالف سنة والف سنة كيوم واحد . لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأني علينا وهو لا يشاء ان يهلك اناس بل ان يقبل الجميع الى التوبة». الله في رحمته، يريد أن الناس يؤمنوا بأنّه خالقهم وهو الحي الحقيقي وحده. كلمة الله تقول بأنه يريد أن يعترف الناس بشفاهم بأنهم يؤمنون أنّ المسيح هو ابن الله الوحيد. إرادة الله في خلاص الخطاة تجلب السرور لقلبه. «إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (أف ١ : ٥)

الرسول بطرس كان واضحاً أن الله لا يشاء أن يهلك أناسا بل أن يقبل الجميع إلى التوبة فيضع أمامنا هنا ثلاث حقائق :

١. الله يريد أن جميع الناس تتوب.

٢. أولئك الذين لا يتوبون سوف يهلكون.

٣. الله لا يشاء أن يهلك أحد.

قال الله : « النفس التي تخطئ هي تموت » (حزقيال ١٨ : ٤) و في (عب ٩ : ٢٧) يقول : « وكما وُضع للناس ان يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة »

بغض النظر عن ما ندعي أننا به نبرهن عن محبتنا لله، فأنا إن كنا صامتين عن إعلان الإنجيل متى نتاح لنا الفرصة لنخبر الخطاة عن المسيح فإننا بذلك نؤكد أن الله لا يعني تماماً ما قاله بشأن عواقب سقوط الجنس البشري وليست لدينا رحمة بل إن مشاعرنا جامدة وقاسية تجاه النفوس الهالكة.

خطة الله "أ"

قال الرب يسوع « كل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت الى الابد » (يوحنا ١١ : ٢٦) " ثم سأل ذات السؤال الذي يسأله لنا اليوم: "أتؤمنين بهذا؟" أتؤمن أيها القارئ، تؤمن بأنّ على الناس أن يسمعوا عن الرب يسوع المسيح حتى يمكن أن يؤمنوا به ويطلبوا منه غفران خطاياهم؟ أم تعتقد بأنه بمساعدة الناس أن يعيشوا عيشة أفضل أو أطول سنغير قواعد الله؟ أعظم خبر من بداية الزمان ليس أن العلم والتكنولوجيا جعلنا من الممكن عمل أشعة مقطعية أو أشعة رنين مغناطيسي لفحص أجسامنا واستكشاف نقاط الضعف فيها أو تلك الأقمار الصناعية التي تدور في فضاء السماء لتلتقط لنا صور ومشاهد وتقلها إلينا من كل ربوع الأرض.

لكن أعظم الأخبار من بداية تاريخ الإنسان أن خطة الله بشأن دينونة الخطاة من أجل خطاياهم وطرحهم في بحيرة النار كما وصفت في (رؤيا ٢٠ : ١٥) تتوافق تماماً مع عدله لكنها ليست هي خطته المفضلة التي يسر بها. الهاوية أو الجحيم، أو ما شابه ذلك من مسميات أخرى، والتي يرددها الناس باستخفاف وبتلويح يد، كونهم غير مؤمنين بوجودها لن يلغي أبداً حقيقتها.

الأخبار التي تستحق أن نصرخ بها - حتى لو سيزج بنا خلف قضبان السجون - أنه توجد فرصة للإنسان الخاطيء أن ينجو من العذاب الأبدي والإنفصال التام عن الله. في (حزقيال ٢٢ : ٣٠) يقول الله إلى النبي : « طلبت من بينهم رجلا يبني جدارا ويقف في الثغر امامي عن الارض لكي لا اخربها فلم اجد.

ربما يكاد أحدنا يسمع الله وهو يقول بنبرة أسيفة: «فسكبت سخطي عليهم. افنيتهم بنار غضبي. جلبت طريقهم على رؤوسهم يقول السيد الرب» هذه هي "خطة الله" ب " لدينونة العالم على ظلمه وشره وتمرده على الله.

سيعفون من هذه الدينونة إن أشفقنا عليهم وأعلننا الإنجيل لنتيح الفرصة لكل من يؤمن أن ينال الخلاص. خلاصهم هو قصد الله المفضل و مشيئته المعلنة بوضوح عبر كل صفحات الكتاب .

إنها الخطة "أ" التي تعكس رحمته وجوده ونعمته ومحبته. لذا يسعى إلى جذب النفوس وجعلهم كاملين فيه . تلك الخطة الصالحة التي لخصها الرب يسوع في عشرة كلمات: « كل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت الى الابد » (يوحنا ١١ : ٢٦). من فرط محبة الله إتفق كل أقانيم اللاهوت الآب والابن والروح القدس على أن يبذل الإبن نفسه على الصليب من أجل البشر الساقطين. لا يوجد دليل يعكس محبته وقلبه الرقيق سوى خطة الله " أ " التي فيها دبرالله بنفسه خلاصاً للبشر لكن المشكلة الوحيدة في هذا الموضوع أن إعلان الأخبار السارة لهم قد فوضه لرسول من نفس جنس البشر .

قصة فيرونيا

في إحدى الليالي وصلت "فيرونيا" إلى المستشفى ، في إنتكاسة صحية شديدة ، بعد أن قام شخص ما من بلدة أخرى، بإجهاضها . كان عمرها خمسة عشر سنة، وهي طالبة في المرحلة الثانوية، جميلة الشكل وكانت على علاقة حب مع مدرسها. الحل الذي اقترحه عشيقها هو أن يرسلها لطبيب وافق أن يجري لها عملية إجهاض بعد أن دفع أجرته.

للأسف انتهى حب هذا المدرس عند الحد الذي لم يمكنه بعده مرافقة عشيقته - التي كانت بين الحياة والموت - إلى المستشفى حين ساءت حالتها. علّق فريقنا الجراحي لفيرونيا المحاليل و أعطوها المضادات الحيوية اللازمة، ثم نقلوها إلى غرفة العمليات وفتحوا بطنها فوجدنا جدار الرحم به خروق كبيرة ومتسعة، و صديد بكميات كبيرة. هذا كان أول حمل لها، وحيث أنها لم تأذن لنا بإزالة رحمها، أغلقنا الفتحة التي في رحمها بأفضل صورة ممكنة، بعد أن طهرنا بطنها بكمية كبيرة من المحلول الملحي المعقم، وأعطيناها أقوى مضاداتنا الحيوية. معمل المستشفى لم يكن لديه الإمكانية أن يحدد لنا أيّ مضادات حيوية تعد الأنسب لعلاج هذا الإلتهاب فاعتمدنا على حاسيتنا الطبية. استقرت حالتها بعد عدّة أيام، ثم أتى قسيس المستشفى ليخبرها عن محبة المسيح لها.

بعد مرور أسبوع على عمليتها الأولى، فجأة صارت فيرونيا شاحبة الوجه وانخفض ضغط دمّها إلى ٦٠/٠ وازداد نبضها إلى متئين نبضة في الدقيقة. كانت هذه بمثابة مؤشرات تقليدية لما نسميه (صدمة التعفن) - septic shock، كان مصدرها على الأرجح هو رحمها المخرّق. بعد أن وافقت الفتاة على مضض أن نستئصل الرحم لكي نسيطر على الإلتهاب، قمنا في غرفة العمليات بإزالة رحمها الذي دمرته الغرغرينة و قمنا بعمل التطهيرات اللازمة. صحيح أنها بعد ذلك لن تستطيع الإنجاب أبداً لكن لم تعد هناك وسيلة أخرى لإنقاذ حياتها.

بعد العملية الثانية، جاء قسيس المستشفى إلى غرفة فيرونيا وشجّعها أن تؤمن بالرب يسوع وفي ذلك يوم صلّت فيرونيا صلاة التوبة والإيمان.

بعد إسبوع دخلت في إنتكاسة أخرى فجأة وماتت. موتها المأساوي أحرزنا جميعاً. لكن كانت تعزيتنا الوحيدة أنّ إشفاقنا عليها أتاح لها فرصة سماع رسالة الإنجيل، فوجدت فيرونيكا غفراناً لخطاياها في شخص المسيح قبل فوات الأوان. يقول الكتاب : « ليس باحد غيره الخلاص .لان ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص » (أع ٤ : ١٢)

إن كان الإيمان بالرب يسوع المسيح هو سبيل الخلاص الوحيد تحت السماء، فلماذا يتردد الأطباء والمرمضات في أن يعلنوه لمرضاهم من أجل "أسباب مهنية"؟! إن كتمنا الأخبار السارة العظيمة ماذا سيقول مرضانا عندما يستيقظوا و يجدوا أنفسهم في أرباب وأصعب مكان. هل سيشكروننا على رحمتنا واهتمامنا أم سيلعنوننا على صمتنا.

الرجل ذو العيون الصفراء

من بضعة سنوات مضت جاء إلينا رجل متوسط العمر، بعيون صفراء. سرطان الكبد أحد أشهر أنواع السرطان المنتشرة بصورة كبيرة في أفريقيا، وتبين بعد التشخيص أن هذا الشاب مصاب به. كانت حالته متأخرة للحد الذي لا يجدي معه أي تدخل جراحي، لذلك كان ملازماً للفراش في المستشفى أسابيع كثيرة، وهو يموت ببطء. كنت أراه كلّ بضعة أيام عندما كنت أمر في جولات المتابعة، كنت أقوم كلّ مرة بتحيتته بلطف وأسأله عن حاله و أسمع له باحترام وهو يخبرني عن شعوره بالغثيان، ومعاناته، وفقده الشهية، وشعوره المتزايد بالوهن وعدم قدرته على النوم. كلّ ما كان في وسعنا أن نفعله هو أن نوفر له قدر من الراحة بقدر المستطاع.

عندما كنا نتكلمّ معه كنا في أغلب الأحيان نلقي نظرنا على كارت المتابعة الخاص به أو ننظر خلال النافذة، أو حتى إلى الحائط؛ ننظر إلى أيّ شيء ما عدا "عينيه الصفراء" التي لا يطاق شكلها. عندما ينتهي وقت الحديث معه نكتفي بأن نريت على كتفه ثم نتوجه للمريض التالي. تكلم قسيس المستشفى معه عن المسيح أكثر من مرة لكنه كان دائماً يؤجل ولا يأخذ قرار.

قبل أن يموت بعدة أيام، لاحظت أن زوجته تجلس بجوار سريريه على مقعد منخفض. وهي تضع رأسها بين كفيها، مجهدة من التفكير في اليوم القريب المتوقع أن تصبح فيه أرملة. كان اليأس ظاهراً على وجهها مما جعلني أتساءل عما إن كانت عائلة الشاب تلومها على مرض زوجها بفعل سحر موجه ضده (كما هو معتقد) لعلها متورطة فيه. كلما نظرت إليها، أحسست بسكون عميق في نفسي. كما لو أنّ كلّ أصوات الضجيج في الغرفة قد توقفت، مثل صمت الموت.

عرفت بأنّ الله كان يتكلمّ إليّ، لكنّي لم أكن متأكّداً بشأن ما يقوله لي. ألقىت نظرة على الرجل ولاحظت ما كان يجب ملاحظته من وقت طويل أنه يوجد هنا شخص لن ينتهي وجوده بعد ان يموت جسده.

عندما أنتهيت من الكشف على المريض الآخر في الغرفة وخرج زملائي خارجاً بقيت في الغرفة وجلست على سرير الشاب وسألته إن كان يعرف ما الذي سيحدث إليه بعد أن يموت. نظر لأسفل، وهز كتافيه النحيلتين، وقال أنه في الحقيقة لا يعلم. سألته إن كان يعرف أنه غالي جداً على قلب الله. نظر إلي باندهاش. وعلى مدار الخمسة عشر دقيقة التالية، كنت أشرح له رسالة الإنجيل مرة أخرى بتعبيرات بسيطة. سألته مرة أخرى إن كان يريد أن يكون من عائلة الله. أعلم أنه سمع ذلك كله من قبل بلغته الخاصة، و ليس الفرنسية. لكن نظراً لأنني طبيبه المعالج وقد صرفت من وقتي ما يكفي لشرح الموضوع له مرة أخرى، على الأرجح تبين له أن الأمر ذو أهمية كبيرة. أجابني: " نعم ". أراد الإنضمام إلى عائلة الله، وآمن بالفعل أنّ المسيح هو ابن الله، وكان راغباً في تبعية المسيح وترك ماضيه القديم. صلى هو وزوجته وطلبا من يسوع أن يكون رباً على قلوبهما وحياتهما.

رغم أن صحة الشاب كانت تتدهور يوماً تلو الآخر لكن كان رجائه ينمو. مات الشاب بعد ذلك بإسبوع، دون أن يكون لدي أي شك مطلقاً أن أبيه السماوي قد ضمه لحضنه! «لأنكم بالنعمة مخلصون بالايمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله، ليس من اعمال كي لا يفخر احد لاننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لاعمال صالحة قد سبق الله فاعدها لكي نسلك فيه» (أف ٢ : ٨ - ١٠)

الله يعشق الناس

هذا يضعني أمام واحدة من أكبر المفاجئات في حياتي. عندما أضاء قلبي وذهني ذلك الخاطر المبهج أن الله يحب البشر كثيراً جداً بصورة تفوق العقل. وما استطعت أن أستوعب ذلك في حياتي طوال ما عشته هنا على الأرض. إن كان الناس الذين يحبهم الله لديهم ما يجعله يحبهم لكان الأمر مفهوماً و مستساغاً لي. إن كانوا موهوبين وأصحاء وأذكياء ونافعين وجذابين سواء لله أو العالم لكنك أستطيع أن أقبل الأمر وأستوعبه. يبدو أن الله لا يضع في قلبه أن هذه أسباب شرعية تبرر محبته لهم. لماذا يحبّ الله المتمردين والذين ينكرون وجوده و لا يعترفوا بأنه خالقهم؟ أيجبّ الله الذين يرفضونه و يتحدونه ويكرهونه ويضطهدون أتباعه! اتجهت محبته أيضاً إلى مدمني المخدرات، والزناة، والشواذ جنسياً، واللصوص، والكذابين، والقتلة، والذين يضربون زوجاتهم، ويسبئون لأطفالهم، والمجانين. إن دواعي محبته للبشر تفوق مدارك عقولنا.

أليس من الأفضل إن كان الله قد إستعمل قوته لجعل كلّ شخص يعيش حياة سعيدة وصحيحة لسبعين أو مئة سنة؟ ألا نكون أسعد إن وضع بقوته فينا التسامح والسعادة، ، والحب؟ أليست هذه هي نوعية الناس الذين يختارهم لينالوا التبرني ويكونون من عائلته؟

منذ عدة سنوات، كنا أنا و بيكي في طريق العودة إلى البيت بالسيارة بعد تدشين عيادة جديدة بإحدى القرى. كانت حرارة الشمس شديدة ،والرطوبة قاسية، و كانت نوافذنا مغلقة بإحكام لتمنع ورق الشجر أو البراغيث أو الرطوبة من إقتحام الجو النظيف والمكيف داخل السيارة.

مررنا بقرية للأقزام ، ظهر رجل صغير الجسم لوح لي بيده كي أتوقف. كان معروفاً لي وهو شيخ كنيسة بها حوالي عشرون مسيحي من القرية اسمه فرنسيس ، إبتسم ابتسامة عريضة عندما هدأت السرعة ووقفت. فتحت النافذة لكن أبقيت محرك السيارة دائراً . كانت رأسه بالكاد تصل إلى أسفل نافذة السيارة، لذا كان علي أن أنحني تجاهه لأتكلّم معه. صافحته و تبادلنا التحيات، و سألته عن حاله وكيف تسير الأمور . أجاب أن كل شيء على ما يرام لكن نبرة صوته وملامح وجهه تقول غير ذلك. عندما سألته إن كان هناك مشكلة، أخبرني أنّه توجد إمراة مريضة في طرف القرية و وأرادني أن أذهب لرؤيتها.

سألته : "ما مشكلتها؟و كان التردد بادياً على صوتي ". شرح لي بأن المرأة تعاني من سعال حاد وانها اليوم أضعف كثيراً. أول ما خطر ببالي هو مرض السل ؛ ذلك الوباء الذي أكتسح أرياف أفريقيا. فقلت بحزم، " يلزم أن تأتي إلى المستشفى حتى يتمكن أحد أطبائنا من الكشف عليها ويعمل لها أشعة على الصدر ويحل لعابها ويعالجها". قلت في نفسي أنّ مجرد تنفّس الهواء بالقرب منها أمر سيء للغاية . هز فرنسيس رأسه رافضاً بوجه عابس.

وقال لي : "أنا قلق بشأنها، يا دكتور . أرجوك تعال معي لترها أنت بنفسك. أبتدأ بالسير في الطريق أمامنا بكل ثقة أنني سأنزل وأتبعه. إنقثُ إلى بيكي داخل السيارة وقلت لها ما أفكر به و أنني سأذهب وأعود بعد دقائق. قطعنا طريقنا معاً نحو طرف القرية بينما كان بعض سكان القرية الآخرين يخرجون من بيوتهم وأكواخهم ويلاحظوننا. على الأقل عشرون زوجاً من العيون الصغيرة كانت تتابعنا حتى وصلنا آخر كوخ في القرية . الكوخ كان حوالي ثلاثة متر مربع و ارتفاعه متر ونصف، حتى بعد أن تسللت من خلال الباب المنخفض لن أستطع الوقوف بطولي وإلا سأنظف سقف الكوخ بشعر رأسي.

كانت إمراة في السبعينات من العمر تقريباً، خرجت من غرفتها الصغيرة وهي ترتجف. كانت يديها ترتعش وهي تضع قطعة قماش مثل منديل فوق صدرها وجسمها الضعيف. وزنها قد يكون عشرون كجم. كل بضعة ثواني كانت تسعل بشدة سعالا سائلا. كنت أشعر أن الجراثيم تدخل رئتي عند كل نفس أخذه. كانت تموت و حالتها تثير الشفقة. " قال فرنسيس : "هذه عمّتي" زوجها مات الشهر الماضي ومن وقتها وهي مريضة." لمحت سريرها المنخفض المصنوع من الأعواد المتوازية المربوطة معاً بجريد النخل. لا أستطيع أن أتخيّل مايشعر به من ينام على مثل هذا الفراش المذري. كل ما تمتلكه هو خرقة القماش التي تلفها حول جسمها بالإضافة إلى قدر طهي من الألمنيوم المسودّ من الدخان موضوع على نار الحطب في منتصف الأرضية.

خطر ببالي أنه لولا اهتمام فرنسيس بها لكانت تعد أفقر المخلوقات التي على وجه الأرض. قلت لفرنسيس أنها تحتاج أن تأتي إلى المستشفى و كررت كلامي مثلهاً أن أفلت من غيمة التلوث التي تحيط بنا. كثر فرنسيس وهز رأسه وقال : " ليس لديها مال، يا دكتور ،هل يمكن أن تعطيتها بعض الأدوية لتأخذها هنا؟ " عندئذ حمي غضبي وقلت له : " يا فرنسيس، ليس لدي شيء في سيارتي أعالجها به كما أن كل أدويتنا في المستشفى، علاوة على أننا نحتاج لتأكيد التشخيص والإشراف على علاجها عندنا. إذا أتيت بها، سأدفع أنا فاتورتها! هل هذا حسن؟" لا أصدق ما الذي جعلني سخياً هكذا!

لا أدري ما الذي كان لم يزل يضايق فرنسيس، لكنّه تتهدّ أخيراً على أية حال وأظهر موافقته. بعد ذلك بدقائق قليلة ، كنت أعبيء رثتي بالهواء النقي من هواء مكيف السيارة ثم انطلقت بشوق العودة لبيتنا الجميل والسيارة تنهب الطريق نهباً. عندما وصلت للبيت، أخبرت زميلي في الخدمة الطبية أن امرأة عجوز ستأتي في اليوم التالي وأنها على الأرجح مصابة بالسل، وعندما قلت له أنني و زوجتي سندفع فاتورتها سمعت دندنة تعبر جيداً عن الموافقة. الإِسبوع مضى والمرأة لم تظهر لدرجة أنني فوجئت عندما سألتني زميلي عنها، فأخبرته أنني لا أعرف لماذا لم تأتي. ، قلت في سرّي: "ها أنا أحاول مساعدة الناس وهم لا يباليون بنصيحتي. ومع ذلك، لم أشعر بارتياح .

في ذلك المساء كنت أتكلّم مع زوجتي عن الحالة و سؤال غريب طرأ إلى ذهني: 'كيف يمكن لإمرأة عجوز مثل هذه أن تأتي إلى المستشفى؟' " كنت أتصرف بعجالة لأفلت من هناك دون أن أفكر جيداً كيف ستقطع أربعين كلومتر محبباً إلى المستشفى كما لم يكن ممكننا أن تقطعها سيراً على قدميها، مع أنّ فرنسيس لو كان عنده المال ليدفع لها أجره الإنتقال في عربة قش بصحبة أحد الأقرباء ما كان يتردّد. وضعت مبلغ من المال بسرعة في مظروف وأنا مصعوق بالتفكير، وأرسلته إلى عنوان فرنسيس مع تدوين ملحوظاتي، وسلّمته إلى شخص ما مسافر في نفس إتجاهه. في اليوم التالي وصلت المرأة العجوز ولدهشتي، ظهر أن لديها التهاب رئوي وليس ، سلاً ، إستعادت عافيتها ووزنها بسرعة بعد الرعاية الصحية السليمة بها.

بعد أن استعادت وزنها، عادت نضارتها لم يبدو عليها بعد مظاهر الشيخوخة ، إذ كانت تبدو في خمسيناتها من العمر وليس سبعيناتها. على أية حال، الفضل يعود لإهتمام فرنسيس ورعاية المحبة التي تلقتها في المستشفى، و أفضل الكل أنها دعت المسيح ليدخل إلى حياتها! أشعر بالخجل من نفسي على برودة مشاعري ، كم كان تقديري ضعيفاً جداً لمحبة الله للناس الضائعة! عندما تأملت كيف سارت الأمور راودني هذا السؤال : لماذا يريد الله شخصاً كهذا؟ "في عالم البليونيرات والعباقرة و الفنانين المبدعين والرؤساء ،هذه السيدة المسكينة تعتبر نكرة. ليس لها شيء تقدمه إلى العالم. السبيل الوحيد الذي يجعلها تفوز بلقب أفقر مخلوق على وجه الأرض إن قام أحدهم بسرقة القدر الذي تستخدمه في طهي الطعام.

عندما أرسلني الله لمقابلتها، كانت مريضة هزيلة وغير متعلمة، قبيحة المنظر و عجوز ضعيفة السن ، ولا منفعة منها حتى لعائلتها الحالية. الله لا يهمله كل ذلك. لأنه يحبها ويريدها كما هي وهو الذي نخس قلبي وحتي على مساعدتها. ثم اجتذبتها له. رأيت ما فيه الكفاية أن يعرّفني كيف أن الله يعشق البشر. انها أحد أسرار شخصيته العجيبة. ليس ذلك فقط ، بل إن الله يريد أن بعض الذين عرفوه وأحبوه أن يعملوا معه لإجتذاب المزيد من بين هؤلاء الأبناء والبنات ليتمتعوا بالإنتماء إلى عائلته و يكونوا أولاداً لله. كتب الرسول بولس : « وانتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا ان تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتثلوا الى كل ملء الله». (أف ٣ : ١٨ - ١٩)

خلاصة ختامية

أخبر المسيح فريسياً أن أعظم الوصايا التي أعطها لموسى أولهم: «تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الاولى .والثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك . ليس وصية اخرى اعظم من هاتين» (مر ١٢ : ٣٠-٣١) "إن أردنا أن نكون تلاميذ مخلصين للمسيح يجب أن نحب الناس ونظهر الرحمة لهم سواء كانوا أشرار ، فقراء أو أغنياء ، مرضى أو أصحاء جذابون أو منفرون. الوصية الأخيرة التي أعطها المسيح لتلاميذه في ختام إنجيل متى « تقدم يسوع وكلمهم قائلاً .دفع اليّ كل سلطان في السماء وعلى الارض فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس علموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به...» (مت ٢٨ : ١٨-٢٠)

كثير من الذين يدعون مسيحيين ينتقوا بعض وصايا المسيح ويتركوا مالا يروق لهم . إن أحببنا أبينا السماوي بالحق من كلّ قلوبنا ونفوسنا وقدراتنا وأفكارنا سنحبّ أولئك الذين يحبهم، و سنحبهم بما فيه الكفاية أن نذهب إلى أقصى الأرض كي نجدهم، ونساعدهم، ونقدم لهم المسيح، مهما كانت صعوبة وتكلفة الإرسالية. سننعرض في الفصل التالي لموضوع الرحمة المسيحية، التي اختار المؤمنون الغربيون أن يضعوها خلف ظهورهم. على أن لهذا الموضوع نصيب وافر في خدمة المسيح وتعاليمه

الفصل التاسع

شفاء المنسحقين روحياً

«لكن ان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين فقد اقبل عليكم ملكوت الله» (مت ١٢ : ٢٨)

أسئلة معلقة

بين كل الأعمال التي عملها المسيح أثناء خدمته المؤثرة التي دامت لوقت قصير على الأرض، نجد أن موضوع تحرير المأسورين روحياً لم يحظ بقدر كاف من الإنتباه أو الإحتذاء به .لماذا يا ترى؟ هذا الجانب من خدمة المسيح لم يكن يفعله سراً، لكن بصورة علنية وذكُر كثيرا في العهد الجديد، كما هو واضح من الأجزاء التالية:

• «..اشفوا مرضى .طهروا برصا .أقيموا موتى .أخرجوا شياطين .مجانا اخذتم مجانا اعطوا» (

مت ١٠ : ٨)

• « فخرجوا وصاروا يكرزون ان يتوبوا .وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» (مر ٦ : ١٢ ، ١٣)

• « فاجابه يوحنا قائلا يا معلّم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا .فمنعناه لانه ليس يتبعنا . فقال يسوع لا تمنعوه .لأنه ليس أحد يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعا أن يقول عليّ سراً» (مر ٩ : ٣٨ ، ٣٩)

كتب "وين جرودم" في علم اللاهوت النظامي، "سكنى الارواح الشريرة هو تعبير مضلل وموجود في بعض الترجمات الإنجليزية للكتاب المقدس يُظهر أن إرادة الشخص يسيطر عليها تماماً الروح الشرير. إنّ التعبير اليوناني "دايمونيزوماي" "daimonizoma" يترجم بشكل أفضل " تحت التأثير الشيطاني"، الذي يمكن أن يتراوح ما بين معتدل إلى تأثير أكثر قوة أو هجوماً شرساً.

أكدت مراجعتي لقائمة من ثلاثين ترجمة إنجليزية مختلفة للكتاب المقدس على الإنترنت أن

المصطلحات التالية : "يُخرج" و"يطرد" كانت مستعملة كثيرا ، والكلمات المستعملة في باقي الترجمات كانت مماثلة: "يرسل" "يجعل خارجا"، "يجبر بالقوة"، فيبدو أنه ليس الكل من علماء الترجمة يتفقون مع رأي جرودم.

على أية حال، هل قصد المسيح أن نخرج الأرواح الشريرة التي تذل الناس؟ شفاء المرضى ومعالجة مرض الجذام قد تبدو آمنة نوعاً ما، لكن هل يلزم أن نتعرض لموضوع الأرواح الشريرة؟ هل المثقفين والمتعلمين أمثالنا يمكن أن يتناولوا هذا الموضوع؟ هل قصد الله لهذه الخدمة أن تتلاشى بصعود المسيح وموت الرسل؟ هل كل ما علينا فعله تجاه الناس الذين يتصرفون بطريقة غير طبيعية أن نأخذهم إلى الأطباء النفسانيين ونشجع الكنيسة أن لا تتدخل في شيء لا تفهم فيه؟ هل قصد الله حقاً لمن يخدمونه أن يمارسوا مثل هذه المواهب اليوم؟

تراث "ملاحقة السحرة"

أجمع أغلب المؤرخين أن العصر الذي بلغت فيه "ملاحقة السحرة" ذروتها، هي ما بين عشرينات القرن السادس عشر إلى أربعينات القرن السابع عشر. قال "رودني ستارك"، مؤلف كتاب "لمجد الله": "إن معدل تكرار وكثافة "مطاردة السحرة" يبلغ أقصاه في الحالات التالية: (١) بذل جهود جدية لقمع السحر، خاصة إن كانت هناك ممارسات شيطانية متعلقة به. (٢) وجود صراع كبير دائر بين الأديان، يمثل تهديداً لهيئة كل منهم، وتراجع كبير في قبول الاختلافات الدينية. (٣) ضعف الإكليروس المركزي أو أصحاب الحكم السياسي في السيطرة على التيارات المتطرفة.

وفقاً لتوثيق "ستارك"؛ ليس الإنسانيون ولا التقدم العلمي هم الذين وضعوا حداً "لملاحقة السحرة" في أوروبا الغربية، مع أن دعاة الحركات الإنسانية والعلماء أظهروا رفضهم للممارسة بعد أن إنتهت. لكن كان هناك علماء ودارسون مدرّبين جيداً، جردوها من الأساس التي بنيت عليه من واقع أحاسيسهم ومنطقهم، وعملوا ذلك عندما أصبح هناك كلام جريء ضد "ملاحقة السحرة" أشهر الذين كان لهم باع كبير في هذا الأمر هو المحقق الكاثوليكي "فرانسيكو فاكا"، الذي بعد أن أرسل بواسطة الكنيسة الإسبانية سنة ١٥٤٩ ليتابع حدث "حرق السحرة" في برشلونة، كتب عريضة بليغة ضد الممارسة والتي كان لها أثر ملحوظ في نهج التحقيقات في

القضاء الأسباني. "فرانسييسكو فاكا" كان أول من شجب عملية "إعدام السحرة" ودعا الكنيسة أن تغير موقفها.

يوجد ما يبرر الفرض القائل أن الكنائس الغربية قد إبتعدت عن خدمة تحرير النفوس التي يسكنها أرواح شريرة، كنتيجة لهذه الحقبة المظلمة في تاريخ الكنيسة.

كان لموقف الكنيسة من إعدام آلاف السحرة (على أساس إن التعامل مع الأرواح الشريرة هو هرطقة)، تأثيراً سلبياً على موقف المسيحيين الغربيين من النفوس التي يسكنها أرواح شريرة. عدد كبير من المؤمنين الغربيين يستبعد فكرة سكنى الأرواح شريرة من الأساس، نتيجة لذلك.

"ملاحقة السحرة"، لم تكن محددة فقط بالثقافات المسيحية، لكن نجدها تظهر في مجتمعات أخرى تسوقها عواصف مفاجئة من التعصّب الغشيم. ففي مايو ٢٠١٠، تم محاصرة ثلاثة رجال مسيحيين وتعذبوا بالنار في قرية بجنوب الجابون بأفريقيا من قبل القرويين الأرواحيين في محاولة لإجبارهم أن يعترفوا بمزاولتهم للسحر ضدّ بقية القرية.

وقع ذلك الحدث بعد أن قام عشرون شابّ بابتلاع كمية هائلة من حبوب مخدرة تقليدية اسمها "إيبوجا" وهذا طقس يمارس عادة عند إعتناق مذهب البويتي. عدد من المبتدئين إدّعوا تحت تأثير هذا المخدر أنّهم رأوا روح مدمرة تخرج من الكنيسة البروتستانتية في وسط القرية وإدّعوا بأنّ الروح كانت غاضبة لأن شخص ما دفن جمجمتها في الأرض أمام إحدى أبواب الكنيسة. هذا الإدّعاء دفع مجموعة من الهمجيين أن يحفروا بعصبية شديدة، حفراً عميقة أمام مدخلي الكنيسة الرئيسيين.

بعد ساعات طويلة من الحفر وجد الشباب قطعة صغيرة من العظم طولها حوالي ٥ سم، لم يسمحوا لأي شخص آخر أن يفحصها. قام الشباب - متحمسون بما إكتشفوه - بإقتحام بيت القسيس و قاموا بتقييد ذراعيه وقدميه بسلك كهربى. عندما اعترضهم شيخ من الكنيسة ورجل أرمل كبير في السن، اعتبرهما الشباب الثائر أنهما متواطئان معه وربطوهما أيضاً.

كان كل سكان القرية تقريباً قد تجمّعوا وقتئذ لمشاهدة ما يحدث. الشابان اللذان إدّعا أنّهما رأيا الروح صبّا بنزين على ملابس الرجال المتّهمين. لولا تدخّل أحد رؤساء القرية لكانوا قد حرقوهم تماماً. على الرغم من هذا، سمح الرئيس للشباب أن يصبّوا البنزين على أقدام الرجال ويحرقون أقدامهم. عمل الهمجيون هذا الأمر حتى نفذت كمية البنزين.

صرخ الضحايا الثلاثة من شدة الألم حتى استنزفت قواهم، ورفض الثلاثة تماماً الإعراف بمزاولة السحر ضدّ القرية. الأمر الذي أثار غضب الإثنتين اللذين تزعمتا الهمجيين وهدّدا بإطلاق الرصاص على القسيس. أجابهم بأنّه مستعدّ أن يموت، عن أن يعترف بشيء لم يفعله، والإثتان الآخريان قالوا نفس الشيء. عندما بلغ الأمر لهذا الحد أحضر زعماء الهمجيين مشاعل ووضعوها تحت أقدام الضحايا حتى خمدت وحدها، مما أنتج في النهاية حروقا من الدرجة الثالثة. الحدث بأكمله استغرق أكثر من أربع ساعات، ففي النهاية ملّ الجمع الواقف من المنظر، وبدأوا يتفرقون الواحد تلو الآخر. غادر الشباب المشهد مؤخراً، تاركين ضحاياهم مربوطين على الأرض يصرخون ويبكون. جر الرجال الثلاثة أنفسهم للبيت في الظلام، وهم مقيدون.

أعرف أن القصة حقيقية لأنني قابلت قسيس الكنيسة نفسه وأحد الرجال المصابين الآخرين بعد أن أحضروهما إلينا للمستشفى بعد خمسة أيام حيث أزلنا وقتها الجلد الميت من أقدامهما. قادت السيارة مسافة أربعين كيلو متر إلى القرية، لأجد الرجل الثالث يرقد في بيته ينتظر الموت. كان أرمل ولم يكن لديه أحد من عائلته ليساعده. أقدامه المسوّدة غطاها الذباب، ولم يكن لديه ما يأكل أو يشرب. قبل مغادرة القرية، كثير من المسيحيين خرجوا من مخابئهم وأخذوني لأرى المكان الذي فيه تعذب أصدقائهم في وسط القرية. كانت الأرض لم تزل ملوثة بآثار البنزين والرماد. جاءت الشرطة مؤخراً وأستكملت تحقيقاتها. أصدرت الشرطة أمراً بالقبض على خمسة من قادة الشباب الهمجي. تمكنوا بالفعل من إلقاء القبض على إثنين منهم، أما الثلاثة الآخرون فهربوا إلى الغابة وظلوا مختفين لفترة طويلة.

الرجال المصابون أقاموا شهرين في المستشفى واحتاجوا لعدد من عمليات الترقيع لجلد أقدامهم حتى يمكنهم أن يسيروا عليها مرة أخرى. تبرع مئات المسيحيين بالمال والطعام. تعافى الثلاثة رجال في النهاية وعادوا إلى قريتهم.

نشرت هذه القصة كاملة بالصور في "رابطة الحياة" في يونيو ٢٠١١ وهي مجلة رسمية تابعة للرابطة المرسلية المسيحية".

"ملاحقة السحرة" كما كانت في الماضي لم تزل موجودة في كثير من المجتمعات، ومنها المجتمعات التي بها الارواحيين Animists.

ما الذي يمكن أن تفعله الأرواح الشريرة بالبشر ؟

أكثر الغربيين يشكّون في توصيف الكتاب المقدس لعالم الأرواح مع أنه في ثقافتنا غالباً ما يكون الناس مغرمين بعالم الغرائب وشغوفين بالكائنات الفضائية. فيلم مثل "بولترجيست" (الروح الشرير) غرضه هو التسلية، وليس الإقناع، ولا يؤخذ محتواه بجدية. إنّ القيت بعدد ليس بقليل من المؤمنين بالمسيح في كنائس أمريكا ووجدتهم يشكون بأن الأرواح كما وصفها الكتاب المقدس وأن المجتمعات الارواحية لا تمثل أي تهديد لإيمانهم.

مشاعرهم بخصوص إخراج الشياطين هي إنعكاس لتأثير الأفلام الكئيبة التي أنتجها مجتمعنا بخصوص موضوع طرد الأرواح عبر تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، فيجرّمون أولئك الذين يخرجون الأرواح الشريرة من الناس أو يعتبروهم مسيحيين مصابين بهوس.

كثيرون منّا يعتبروننا اليوم أننا أكثر دراية عن السذج والبسطاء الذين كانوا يعيشون في أيام وجود المسيح على الأرض، مفترضين بأنّ المسيح أشار إلى "سكنى الأرواح الشريرة" في يومه لما يوازيه في ايماننا المعاصرة من أمراض نفسية مثل إنفصام الشخصية، والذهان، والإكتئاب الهوسي، أو أي مرض آخر مشهور. حاسبين الفضل للتقدم والتوسع في العلوم النفسية والإنسانية، و علم وظائف المخ والأعصاب، وعلم أمراض الجهاز العصبي! الآن نحن مستعدون

لمحو فكرة سكنى الأرواح من أدمغتنا تماماً!!

مسيحيو هذه الأيام في الحقيقة قد يعرفون عن العالم و العلم أكثر مما كان يعرفه تلاميذ المسيح، لكن معرفتهم بما يقوله الكتاب المقدس عن الأرواح الشريرة لهو ضحل جداً. نادراً ما سمعت مؤمنين في أمريكا يتحدثون عن خدمة إخراج الشياطين، قد أسمع همسات وتمتمات و ليس عظات جهارية في هذا الموضوع.

بينما كنت أكتب هذا الكتاب، نصحتني كثير من الأصدقاء المقربين أن أتجنب الحديث في هذا الموضوع، إذ من المحتمل أن يكون موضوع جدل أو سخرية لكني شعرت على أية حال أن الله يقودني للكتابة عنه.

الكتاب المقدس يعلمنا أنه في وقت ما قبل أو أثناء خلق العالم، خلق الله الملائكة، منهم ملاك مقتدر اسمه "لوسيفر" والذي غير الله اسمه بعد أن تمرد إلى "الشيطان" وهو ما يعني في العبرية "خضم" وهو وصف دقيق للموقف الذي يأخذه ضد الله وشعبه. في توقيت ما بين تكوين ١ : ٣١ وتكوين ٣ : ١ يبدو أن حركة تمرد حدثت في عالم الملائكة. وفي رؤيا ١٢ : ٧-٩ نقرأ: « حدثت حرب في السماء .ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته . ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح الى الارض وطرحته معه ملائكته» منذ أن طردت هذه الكائنات الروحية الساقطة من السماء، وكلمة الله تصفهم بأنهم "أرواح شريرة" أو "شياطين".

مصاصي الدماء وآلهة الأرواح

درّبت زوجتي طلاب التمريض المسيحيين لدينا في المستشفى بوسط أفريقيا على مدى ثلاثين سنة. يوم ما، جاء أحد الطلاب - وهو من قبيلة مجاورة معروفة بعبادة الأرواح منها روح يعتقدون أنه إله قوي اسمه "بويتي" - وسألها سؤال غريب: أيمكنني استدعاء المداوي التقليدي من القرية للمجيء إلى صالة العظام حتى يسترضي روحاً غاضبة لتعود إلى مريض أدخل للمستشفى مؤخراً بسبب كسور خطيرة في سيقانه؟

عبادة البويتي تتطلب أن يناشد الأباء إله الأرواح عندما يولد لهم طفل ويطلبون منه إرسال أحد "الأرواح الطيبة" لحماية مولودهم.

الذين يمارسون هذا المذهب يعتقدوا بأنّ بويتي يرسل روحاً ليسكن في طفلهم و يحميه حتى يشيخ ويموت. و طالما أن الروح المقيمة راضية، سيكون طفلهم محمياً من الأرواح الشريرة أو أي ممارسات سحرية أخرى تمارس ضدّه من قبل أعداء لهم، سواء من داخل العائلة أو خارجها.

يقضي أتباع البويتي معظم أوقاتهم في الحذر من عدم إستقزاز الأرواح المقيمة، لأنه إن غضبت الروح المقيمة هناك خطر بأنّ ترحل عن الشخص الذي تقيم فيه وتصبح في طور مصاص الدماء. هذا يعني ببساطة أنّ الروح المقيمة تترك الشخص المضيف الذي تسكن معه، فيتعرض لهجمات خطيرة من الأرواح الأخرى. الأسوأ من ذلك ، الروح الغاضبة عندما تنطلق حرة، يمكنها وقتئذ أن تحوم في محيط حياته وتؤذي أفراداً آخرين من العائلة أو القرية.

كل الأمراض أو الحوادث أو المصائب المفاجئة، سواء في العائلة أو القرية ، تثير حتماً الإشتباه في أن الروح المقيمة لشخص ما، قد غضبت على مضيفها وفارقتة وهي الآن في طور مصاص الدماء. الكتاب المقدس لا يعلم بشيء مثل ذلك بالطبع، لكن أتباع مذهب البويتي يؤمنون بدون أدنى شكّ في ذلك الأمر.

التجاوزات التي تغضب الأرواح ؛ متغيرة ومتنوعة، من أمثلة ما يثير غضب هذه الروح: أن يكون الشخص بعيداً عن قريته لمدة طويلة، أو يقصّر في إستشارة أرواح الأسلاف الطائفة في القرية، أو يتكلم بأسلوب غير لائق عن شخص ميت، أو يسعى لعلاج من الطب الحديث بدون مباركة المداوي التقليدي (الطبيب المشعوز بالقرية)، أو يدخل في علاقة وطيدة مع مسيحيين! إنّ قائمة المخالفات المحتملة طويلة جداً ويمكن أن تزيد حسبما يرى المداوي التقليدي.

هذا الطالب شرح لزوجتي بأنّ الأمر طارئ و يجب أن يستدعي المداوي التقليدي كي يأتي، لأن بدون تدخله لن تلتئم كسور صديقه كما أن الأرواح المتمردة قد تهاجم مرضى آخرين في قسم العظام.

فكرة دعوة معالج تقليدي إلى المستشفى بالجلال و جلد النمر والبخور وينشد تواسيحه في المستشفى لهي فكرة غريبة ومزعجة بما فيه الكفاية، لكن كون هذ الإقتراح يأتي من طالب يعترف أنه مسيحي فهو أمر يدعو للغرابة والقلق أيضاً.

تردد هذا الطالب على الكنيسة لسنوات دون أن يفهم بأن المسيح يعارض تماماً ممارسة إستدعاء الأرواح كي تعود إلى عقول و أجساد الناس!

في ذلك الإِسبوع تدخّل قسيس المستشفى أخيراً وشرح ما يقوله الكتاب المقدّس إلى الطالب وصديقه المصاب. صلّى الطالب طالباً الغفران وأعلن إيمانه بالمسيح وبتعاليمه ، لكن ابن عمه تجنّب عرض القسيس للمساعدة، مع إنه تعافى في النهاية من كسوره دون اي مشاكل أو مضاعفات كما لم يحدث أيضاً أي سوء للمرضى الآخرين في قسم العظام. إن طلب شخص ما أن تساعده من خطر إيذاء الروح الشريرة، هل لديك المعرفة الكتابية والإيمان لمقاومة الشيطان بقوة واسم المسيح؟ قبل أن تقول نعم، نحتاج أن نلقي نظرة على تحديات كثيرة أخرى في طريق خدمة إخراج الشياطين. **مقابلة بين "المرض النفسي" و "سكنى الأرواح الشريرة"**

معظم الناس في الغرب كما ذكرت من قبل، لا يؤمنون بالأرواح الشريرة، من ضمنهم العديد من المسيحيين. ترتبط في أذهان بعض الناس فكرة الأرواح الشريرة و العفرتة إلى "ملاحقة السحرة" في أوروبا وأمريكا الشمالية، بدلا عن قصص الكتاب المقدس التي تروي عن اخراج الشياطين بواسطة المسيح كما هي مدونة في الأناجيل. أحد الأسباب المحتملة لهذا الأنطباع هو الأثر الشائع لطبّ الأمراض العقلية والعلوم النفسانية في ثقافتنا خلال المائة وأربعين عاماً الماضية.

يعتبر العالم الألماني "وليام فونت" هو مؤسس علم النفس التجريبي بعد اجراء تجارب عملية علي اشخاص حقيقيين في عام ١٨٧٩م واعتبر هذا التاريخ بداية اعتبار "علم النفس" علما. ينفق الأمريكان هذه الأيام، أكثر من ٢٧٠ بليون دولار في السنّة على الخدمات الصحية العقلية.

أريد أن أوضح في البداية بأنني لا أشكّ في حقيقة وجود أمراض نفسية. الملاحظة التي تصف مرضى الشيزوفرانيا وهم يخبرون عن رؤيتهم في أغلب الأحيان، لكائنات روحية مخيفة لا تعتبر إثباتاً لعدم وجود أرواح شريرة . ربما تشير أنّ الناس المصابين بالأمراض النفسية أكثر حسّاسية لحضور الأرواح الشريرة وتعرضاً لتأثيرهم، لكن الكتاب المقدس لا يوجد فيه ما يؤكد هذه العلاقة. الأمراض النفسية موجودة وتصيب الملايين من الناس.

يجب أن نكون ممتنين لله الذي في رحمته منح الباحثين بصيرة ليفهموا أكثر فأكثر بخصوص كيفية عمل المخ، ولإكتشاف الأدوية القويّة لمساعدة ملايين الناس. كما أن إستشارة العلماء النفسانيين المهرة ساعد العديد من الناس في كئاسنا الذين كانوا يعانون من اضطرابات سلوكية حادّة، بسبب نجاحاتهم بينما حالات فشلهم لا تسجل ولا تذكر مما جعل تأثير طبّ الأمراض العقلية وعلم النفس قد ازدهر إلى حد كبير. هذان المجالان أصبحا مؤثران جدا في بعض الكئاس الأمريكية لدرجة أنه أحيانا الواحد يتساءل عما إن كان الطب النفسي أخذ مكان كلمة الله التي لها السلطة المرجعية الأولى في الكنيسة!

بالنسبة للمسيح ، كثير من الناس في أيامه من الذين نطلق عليهم "ذهانيين" أو "المصابين بالصّرع" في الحقيقة، أبتلوا بهذه الكائنات الروحية الشريرة الموجودة من زمن قديم و التي يسميها الكتاب المقدس "شياطين". عندما أمر المسيح الشياطين أن تخرج من جسد شخص، أطاعوه وحرر الناس الذين كانوا معذبين بسببهم، في الحال. هذه الأرواح عرفت من هو المسيح وكانت ترتعب منه.

« فشفى كثيرين كانوا مرضى بامراض مختلفة واخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لانهم عرفوه » (مر ١ : ٣٤)

لم ينسب المسيح كلّ مرض للشياطين، وفي الحقيقة، ميّز الحالات التي كان سببها الشياطين عن الحالات المرضية الأخرى، مثلاً إصابات بالعدوى (البرص) والعاهات الخلقية (مولود أعمى أو أعرج من بطن أمه). علّم تلاميذه أن تلك الشياطين هي كائنات ساقطة أدبيا تحت قيادة الشيطان وإن أتيحت لهم الفرصة للسكنى في إنسان يمكن أن يأتوا بأرواح أخرى من نفس جنسهم لينضموا إليهم. (مت ١٢ : ٤٣-٤٥). رأى تلاميذ المسيح معلمهم وهو يحرر أعداداً كبيرة من الناس الذين كانت شخصياتهم وتصرفاتهم تحت سيطرة الأرواح الشريرة، بعضهم بلغ حد الجنون؛ مثل الذي وصفه لوقا الطبيب:

« ساروا الى كورة الجديين التي هي مقابل الجليل ولما خرج الى الارض استقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوبا ولا يقيم في بيت بل في القبور. فلما رأى يسوع صرخ وخرّ له وقال بصوت عظيم ما لي ولك يا يسوع ابن الله العلي. اطلب منك ان لا تعذبني. لانه امر الروح النجس ان يخرج من الانسان. لانه منذ زمان كثير كان

يخطفه .وقد ربط بسلاسل وقيود محروسا وكان يقطع الربط ويساق من الشيطان الى البراري . فسأله يسوع قائلا ما اسمك . فقال لجنون . لان شياطين كثيرة دخلت فيه . وطلب اليه ان لا يأمرهم بالذهاب الى الهاوية وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى في الجبل . فطلبوا اليه ان يأذن لهم بالدخول فيها . فأذن لهم . فخرجت الشياطين من الانسان ودخلت في الخنازير . فاندفع القطيع من على الجرف الى البحيرة واختنق . فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا واخبروا في المدينة وفي الضياع . فخرجوا ليروا ما جرى . وجاءوا الى يسوع فوجدوا الانسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابسا وعاقلا جالسا عند قدمي يسوع فخافوا . فاخبرهم ايضا الذين رأوا كيف خلص المجنون . فطلب اليه كل جمهور كورة الجديين ان يذهب عنهم . لانه اعتراهم خوف عظيم . فدخل السفينة ورجع ; اما الرجل الذي خرجت منه الشياطين فطلب اليه ان يكون معه ولكن يسوع صرفه قائلا ارجع الى بيتك وحدث بكم صنع الله بك . فمضى وهو ينادي في المدينة كلها بكم صنع به يسوع » (لو ٨ : ٢٦ - ٣٩)

ولعل هذا هو أوضح مثال يبين قدرة الأرواح الشريرة على تحكمها في الناس الذين يسكنونهم ، ليعملوا بهم ما يشاءوا وكيفما شاءوا حتى إهلاكهم . هذا يشبه عمل الطفيليات المعوية ، إلا أن الأخيرة يمكن التخلص منها بالأدوية الطبية . الشياطين لا يمكن التخلص منها بالحبوب المخدرة ، ولا الصدمات الكهربائية لا تخرجها ، ولا يتحرر الناس منها بالعلاج النفسي . لا يمكن الخلاص منها إلا إذا أُجبرت على الخروج بأمر من قبل شخص له سلطان و قوة روحية أعظم منهم . قال المسيح لمقاوميه : « ان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين فقد اقبل عليكم ملكوت الله . ام كيف يستطيع احد ان يدخل بيت القوي وينهب امتعته ان لم يربط القوي اولا . وحينئذ ينهب بيته » (مت ١٢ : ٢٨-٢٩) .

أفهم جيداً بأنّ هذه الأشياء لها وقع غريب على الآذان الرقيقة للغربيين حتى أولئك الذين شبّوا على قراءة العهد الجديد . لكن الحقيقة - بدون تجميل - بأنّ إخراج الشياطين كان يمثل جانب كبير من خدمة الرب يسوع المسيح . لماذا إذا يهمله المؤمنون بالمسيح اليوم ؟ منح المسيح تلاميذه قوة وسلطان ليعملوا ما قد عمله : « ثم دعا تلاميذه الاثني عشر واعطاهم سلطانا على ارواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف » (مت ١٠ : ١)

كنت هناك عندما أتى شرطي من "ناديندا" (مدينة مجاورة) بابنته التي كان عمرها أحد عشر سنة في ذلك الوقت إلى المستشفى، في ديسمبر ٢٠٠٦. أخبرنا أبوها بما حدث؛ أنه قبل ذلك بيومين توقفت البنت عن الكلام والمشي وبدأت في حالة شرود ذهني. أسرع أبوها وأخذها إلى المستشفى المحلي، خوفاً أن يكون قد حدث لها تسمم لكن الطبيب الذي فحصها لم يجد أي أثر لصدّات أو دلائل تسمّم غذائي.

نظراً لاستقرار درجة حرارتها وعدم ظهور أي أعراض طبية أخرى أوصى عائلتها أن يعرضوها على المداوي التقليدية بعد أن أذن لها بالخروج. بتعبير آخر، اعتقد الأب أن روح شرير هو الذي تسبب في سلوكها الغريب. في الصباح التالي كانت لم تنزل شاردة و استطاعت أن تمشي بشيء من الصعوبة لكن لم تتمكن من أن تتكلّم أو تأكل.

ذهب أبوها إلى رئيسه وطلب اجازة عن العمل لبضعة أيام حتى يمكن أن يأخذ ابنته لإستشارة "مداوي" في قرية بالغابة. نظراً لأن رئيس الشرطة كان مسيحياً، حتّ ضابطه أن يصرف نظره عن المداوي ويأخذ ابنته إلينا لنراها في المستشفى. عمل ضابط الشرطة بنصيحة رئيسه وبعد بضع ساعات وصل إلينا. الممرضات اللواتي استقبلنها قلن أن البنت نزلت من السيارة ببطء ودخلت قسم إستقبال الطوارئ مثل الزومبي (شخصية خيالية لجثة ميت يتحرك على قدميه في حالة اللاوعي) وكأنها منومة. أحد أطبائنا قم بالكشف عليها والنتيجة التي خرج بها في النهاية أنه لا يوجد لديها أي مشكلة طبية، فدعا واعظ المستشفى؛ "القسيس باسكال"، الذي بعد أن استمع إلى القصة الكاملة أخذ البنت وأبيها إلى مكتبه.

صلّى القس باسكال أولاً، ثم طلب من البنت أن تصف ما حدث لها. بدت كأنها تسمعه جيداً لكن كانت تنظر إليه دون أن تجيب. فتح باسكال الكتاب المقدس وبدأ يقرأ بصوت مسموع من رومية

٨: «فاني متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا امور حاضرة ولا مستقبله ولا علو ولا عمق ولا خليفة اخرى تقدر ان تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) فجأة خرجت صرخة من البنت، حتى قفز أبيها من مقعده. إتّجه باسكال إلى البنت وقال بصوت هادئ إلى الروح الذي يسكن فيها: "أسكت أيها الروح الشرير، في اسم الرب يسوع المسيح"، ثم سأل البنت مرة أخرى عما حدث لها.

أجابت بعد لحظة، بصوتها الطبيعي وقالت، " لا أستطيع الكلام بسبب ذلك الرجل الجالس هناك." الرجلان الوحيدان في الغرفة كانا باسكال وأبوها، لكنّها كانت تحدّق بخوف تجاه كرسي

فارغ في الركن البعيد الآخر من الغرفة. نظر باسكال إلى الكرسي وسألها، "هل هو هذا الشخص ؟" "أمأت برأسها. نظر باسكال بحزم تجاه الكرسي الفارغ وقال، "أيها الروح الشرير، في اسم الرب يسوع المسيح، أخرج من مكتبي! "أبو البنت كان يشاهد - في ذهول - ابنته وهي تتابع بعينها شيئاً بدأ يتحرك عبر الغرفة حتى خرج من باب المكتب المغلق، مع أنه لا هو ولا القس باسكال استطاعا رؤية أيّ شيء. تبدد خوف البنت على الفور وبدا عليها الإرتياح.

قرأ باسكال ذات الجزء من الكتاب المقدّس مرة أخرى من رومية ٨. بعد أن انتهى من القراءة، قالت البنت: "آمين!" "و من وقتها وهي تبدو طبيعية تقريبا. قدّم باسكال إليها رسالة الإنجيل باختصار. ثمّ سألها إن أرادت دعوة المسيح كي يدخل إلى قلبها فتتمتع بحمايته وتكون ابنة حقيقية لله. قالت بدون تردد: "نعم"، و بمساعدة باسكال، صلت بكلمات بسيطة صلاة التوبة والإيمان بشخص المسيح.

بعد أن صلّت البنت كأن شخص ما فك لسانها المعقود . فتكلّمت بطلاقة! وشرحت ماحدث لها منذ يومين عندما كانت جالسة في غرفتها ثم فاجئتها غمامة من الظلمة الكثيفة. لم تكن في مشاجرة مع أمّها أو أي شيء غير عادي قد حدثت لها، لكن بعد أن حلّت الظلمة عليها، أمكنها أن تسمع أمها وأبيها يتكلّمان، لكن لم تستطع أن ترى أيّ شيء. لم تستطع أن تتحرك أو تطلب نجدة. كما لو أنّ أحداً قد دفعها إلى جب عميق مظلم. كانت مرتعبة ولا تدري ماذا تفعل! بعد ذلك بساعات راحت في النوم.

في صباح اليوم التالي، عندما إستيقظت من النوم لم تكن قادرة على الرؤية من جديد رغم أنها كانت قادرة على الحركة، لكن كانت أطرافها ثقيلة. كانت تبذل جهد كبير سواء في النهوض أو المشي. ثمّ شرحت ما رآته ووصفته بـ "ذلك الرجل الشرير" فقالت: "كان جسمه ضخم وقبيح المنظر، وكان يهدّد بإيذائها إن لم تفعل ما يطلبه منها. قالت أنه لم يسبق لها أن رآته من قبل. كان يتتبعها في كل مكان، ورغم ذلك لم يستطع أبويها أن يروه. بعض الأطباء منا الذين لهم خبرة في مجال طبّ الأمراض العقلية أو الطب النفسي معرضين بشدة - عند هذه النقطة من القصة - للمقاطعة وتفسير ما تعاني منه هذه البنت على أنه "نوبة ذهانية، معها هلوسة"، والحل هو أن تعالج طبياً.

على أية حال، قضى باسكال الدقائق الخمس والأربعين التالية في شرح بأسلوب بسيط لما يقوله الكتاب المقدس عن الشياطين ، كيف أن الشخص الذي يستشير الأرواح أو أي عمل من الأعمال الأخرى المماثلة، يفتح الباب للشيطان للتدخل في عائلته أو في حياته شخصياً، وكيف أعطى المسيح تلاميذه سلطاناً على الأرواح الشريرة. أرادت البنت أن ترى هذه الأجزاء الكتابية بنفسها فأعطاه باسكال كتابه المقدس المفتوح فقرأت ما قاله المسيح. عندما سأل باسكال أبو البنت إن أراد أن يفتح قلبه للمسيح و يقبله في حياته،أجاب: " ممكن، لكن ليس الآن." شكّ باسكال بأنّه من المحتمل أن يكون متورط في استشارة طبيب مشعوذ ، مع أنه أنكر ذلك. قبل أن يغادروا، إتجه باسكال إلى البنت وسألها، "الآن، هل لمستك؟" هزّت رأسها بالنفي. "هل صرخت كي أجعل الرجل ينصرف؟" نفت مرة أخرى. " إذا ماذا فعلت ؟ قالت : " طلبت فقط أن يغادر المكان بإسم الرب يسوع، أخبرها باسكال: "هذا بعينه ما يجب أن تفعله إن رأيت ذلك الرجل مرة أخرى"، المسيح هو الذي حرك من هذا الروح الشرير. من الآن فصاعداً تحتاجي أن تكوني قريبة من المسيح ولا تخافي بعد. " مضت البنت وهي مبتسمة ويدها في يد أبيها. حدث ذلك من عدة سنوات، و لم تنزل طبيعية. هذا هو النوع الإلهي للرحمة الفعّالة!

أي واحد له نصيب في هذه الخدمة يحتاج لتدريب وخبرة وتمييز أكثر جداً مما يمكن أن أقدمه في هذا الفصل الموجز. لكن الخطوة الأولى المهمة لمساعدة الناس المنسحقين روحياً أن نؤمن بأنّ الذي علّم به المسيح تلاميذه عن سكنى الشياطين هو حقيقي! إنّ الفخ الذي يقع فيه المتخصصين من المسيحيين هو إحلال تشخيص المسيح للمرض الشيطاني بمسمى حديث لمرض من الأمراض النفسية كالقصور والاضطراب الوجداني الثنائي القطب، أو الإختلالات العقلية المختلفة التي يصفها الأطباء النفسيين. كلّ ما سبق له مكانه، لكن الحالات التي وصفها المسيح بأنها "شيطانية" هل كان سببها صدمات في الطفولة و خلل في وظائف خلايا الدماغ؟ و هل الله الظاهر في الجسد لم يكن يعرف الفرق بينهما؟ إن كان المسيح دائم الوجود و هو يرى عالمنا من اللحظة التي خلقه فيها، ألم يكن يعرف متى سيتجسد ويسير على الأرض في هيئة بشرية؟ ما الذي يجعلنا نظن بأننا أكثر كفاءة لوصف ما يحدث داخل الكيان البشري من خلل أو إضطرابات أكثر من الله الذي خلق هذا الكيان؟ إننا لم نكن حتى هناك حين خلق الإنسان الأول!

يمكننا أن نستوعب أنه قد تختلط الأمور عند تلاميذ المسيح ويتحيروا ، لكن هل يمكن أن يحدث ذلك مع ابن الله ؟ بفرض أن تعاليم المسيح في هذا الأمر ليست بعد حقيقية اليوم ، لماذا يوجد مؤمنون آخرون في بلدان الأخرى لديهم إيمان بالله و يمكنهم ممارسة هذه الخدمة بشكل مدهش وهم يخرجون شياطين من النفوس التي غزاها هذا العدو؟ يحررونهم من سلطان الشيطان كما كان يفعل المسيح تماماً. وضّح البشيريون في الأناجيل أنها أرواح شريرة فعلية، تلك التي كان المسيح يخرجها وليست مجرد ثرثرة عقول مهلوسة إنما كائنات روحية لها شخصيات متميزة.

الآيات التالية مجرد عينات بسيطة من كلام المسيح عن الأرواح الشريرة:

• « والارواح النجسة حينما نظرت له وصرخت قائلة انك انت ابن الله . واوصاهم كثيرا ان لا يظهروه» (مر ٣ : ١١ ، ١٢)

• « .. وطلب اليه كثيرا ان لا يرسلهم الى خارج الكورة.» (مر ٥ : ١٠)

• « قائلاً آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري . أتيت لتهلكنا . انا اعرفك من انت قدوس الله . فانتهره يسوع قائلاً اخرس واخرج منه فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئاً . » (لو ٤ : ٣٣ ، ٣٤)

هل الدعوة للإيمان تكفي وحدها؟

أولئك الذين يقنعوننا أن كل ما يحتاجونه الذين بهم أرواح شريرة أن يركز لهم بالإنجيل؛ عندما يجيء الشخص إلى المسيح سيتحرر تلقائياً من سلطان الأرواح الشريرة التي تمكّنت من الدخول إلى كيانه وعقله في الأعوام العقود الماضية. قد يكون ذلك صحيح بالنسبة للكثيرين، لكن من واقع الحياة أعرف بأنه ليس الأمر كذلك مع كل الناس. البعض تزعجه فكرة أن تطلب من شخص (تحت سيطرة الشيطان) أن يفتح قلبه ويقبل المسيح قبل أن تؤمر هذه الأرواح الشريرة كي تخرج منه أولاً حتى يستطيع أن يقرر بإرادته أن يؤمن.

كيف لروح الله أن يسكن نفس الروح الإنسانية التي بها الروح الشرير ؟ وأريهم هذا يدعمونه بقول الكتاب «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين .لانه اية خلطة للبر والاثم .واية شركة للنور مع الظلمة. واي اتفاق للمسيح مع بليعال .واي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن.» (٢ كو ٦ :

"بينما أنا متأكد وليس لدي أدنى شك بأنّ الله لن يكون في شركة مع الشياطين، أنا ببساطة أجيّب أنّ الرسول بولس لم يكن يتكلّم بشكل محدّد في هذا الجزء عن موضوع تعرض المؤمنين للشياطين. إلى أولئك الذين يقولون بأنّه مستحيل لمن به شيطان أن يؤمن ويسكن فيه الروح القدس قبل أن يخرج منه الروح الشرير. أقول أننا يجب أن نعترف أننا لا نعرف الكثير عن ما يحدث عندما يؤمن الشخص بالمسيح و في أي لحظة بالضبط يسكن الروح القدس. الله وحده يعلم كل هذه التفاصيل . الله يعلم ما يحدث بالفعل حين يأتي شخص به روح شريرة ويطلب بإيمان من المسيح أن يحرره. هل يمكن لأولئك الشياطين أن يمنعوا الله من تحرير هذا الشخص الذي يطلبه؟

الله له كل السلطان في كل دوائر الكون، قوّة الشيطان تأتي داخل إطار هذا السلطان. سلطان الله يشمل مكان الشياطين وما يعملوه وهو قادر أن يحقق بهم في النهاية مقاصده النهائية. الكيان البشري مصمم ومهيأ من قبل الله لسكنى الروح القدس، وليس الشياطين، وحيث تستعمل شياطين قوتها لإجبار الناس على الشرّ، فالروح القدس يحرّر ويهب الإنسان القدرة أن يعملوا البر والصلاح.

لا أدعي أنني خبير في هذه الخدمة بكل تأكيد، على الرغم من أنني اختبرتها و استخدمني الرب بنعمته في مساعدة كثيرين أن يتحرروا من سلطان الشيطان. وإن كان هناك أخ أو أخت في الإيمان يصدق يقيناً أن غير المؤمن يمكن أن يتحرر من الأرواح الشريرة وأنه هو أو هي مستعد أن يتبع تعاليم يسوع ويساعد من بهم أرواح شريرة ، فمجداً لله! المهم في الموضوع أنه عندما يعترض حياتنا شخص به روح شرير، ويطلب منا مساعدته، لا نتحول عنه بل لنساعده، واثقين في المسيح أنه سيعيننا ويرشدنا.

خلاصة ختامية

سكنى الشياطين لم تزل موجودة حتى اليوم ، بذات تأثيرها على الناس كما كانت أيام المسيح هكذا اليوم و ليس في بعض القبائل في أفريقيا أو آسيا فقط ، بل في جميع أنحاء العالم وفي كل المجتمعات. إذا أنكرنا أمر سكنى الشياطين فإننا ننكر بالتبعية ما ورد في الأناجيل وسفر أعمال الرسل عن شفاء أولئك الذين كان يتسلط عليهم ابليس. طالما كنا نمزح من أولئك الذين يقولون

" نرى شيطان وراء كل شجرة." وازدرينا بالشفاء الإلهي الذي يقدمه الله للنفوس المعذبة من الشياطين، لقد روجت أكثر من اللازم لقوة علم النفس، والطب النفسي، و الأدوية التي أعطانا الله إياها.

النوع الإلهي من الرحمة لا يتجاهل الإستعباد الشيطاني للناس أو يفترض أنه داء يمكن علاجه عن طريق المشورة والأدوية الحديثة. بالإيمان بالتعاليم الواضحة ليسوع، يمكننا أن نفهم الاستعباد الشيطاني على حقيقته، وباسم الرب يسوع وقوته، يكن أن نحرر أولئك المأسورين. لم يعفي يسوع تلاميذه أبداً من أداء هذه الخدمة. العالم قد يسخر من المؤمنين الذين يستخدمون قوة الله لتحقيق الشفاء بهذه الطريقة، ولكن إن كنا تلاميذ حقيقيين ليسوع، يجب علينا ألا ننكر قوته أثناء ونحن نخدم في العالم. كيف يمكن أن نكون نوراً للعالم إن كنا نختبئ عندما تتحدانا الشياطين؟ لقد قرأت بالفعل ما قاله الرسول يوحنا عن وصية المسيح لتلاميذه بعد القيامة : «كما أرسلني الآب، أرسلكم أنا»، " ترك يسوع لنا مثلاً كي نتبعه ورحمتنا للنفوس يجب أن تشمل معجزة إخراج الشياطين.

الفصل العاشر

بصفتنا كنيسة المسيح

«حينما تقصّر الكنيسة في إفتقاد المتألمين بأعمال الرحمة وتقديم رسالة الإنجيل لهم، فما أبعدها أنذاك عن المسيح»

في سنة ٢٠٠١ قمت بزيارة مستشفى جالمي المرسلية ، الواقعة جنوب وسط النيجر على الحدود الجنوبية من الصحراء . في ذلك الوقت، كان بالمستشفى طبيب جراح واحد مقيم كل الوقت و خمسة أو ستة أطباء آخرين من الأفارقة والأجانب، وحوالي أربعين ممرض وممرضة من النيجر . هذا الفريق الصغير من المؤمنين المكرسين كان يبذل ما في وسعه أمام الإقبال اليومي الشديد من المرضى، حوالي أربعمائة إلى خمسمائة حالة صعبة وطارئة تتردد على العيادات الخارجية، بينما يرعون أكثر من مائة مريض مقيمون بالمستشفى . كان الموظفون مغمورين بأعمال كثيرة وبصورة مستمرة لدرجة أن البعض من فريق العمل طالما أستهلكوا بدنياً ونفسياً وكانوا مضطرين للعودة إلى البيوت. لم يكن هو المكان الذي يشعر الكل فيه بأنهم مدعويين للخدمة. رغم هذا، كان أعضاء هذا الفريق الشهم من أتباع المسيح يصارعون سنة تلو الأخرى في بذل أقصى ما لديهم من جهد لإعانة المتألمين، ومشاركتهم الأخبار السارة لإنجيل المسيح. في اليوم الثاني لزيارتي هناك، ذهبت إلى عيادة الجراحة الخارجية لأعطيهم يد مساعدة.

في خلال أربع ساعات ، من الزمن كان الجراح النيوزيلندي المنهك القوى قد مر على ٦٠ واحد من مرضى الجراحة المقيمون بالمستشفى وعالج ما يقرب من ٥٠ مريض في العيادة. كان هناك شابة عمرها سبعة عشر سنة ضمن مرضى العيادة الخارجية ، كانت مصابة بحمى التيفود، ولم أنسى قصتها.

في وقت متأخر من صباح ذلك اليوم، اندفع زوج هذه الشابة وسط الجمع المنتظر خارج باب مكتب الجراح، يحمل زوجته على ذراعيه. أخذته الممرضات إلى سرير الكشف فوضع زوجته عليه بكل لطف. كانت من "الطوارق"، وهي أحد القبائل البدوية في المنطقة. على الرغم من إجهاد مظهرها العام، لكن لم يزل جمالها متألقاً. بعد الكشف عليها، تحققتنا في الحال بأن عندها

ثقب معوي، وهي أحد المضاعفات الشديدة لحمى التيفود. وضعت الممرضات لها الكانيولا في الوريد وكانت المحاليل والمضادات الحيوية اللازمة تجري على الفور في عروقه.

كلّ مت سبق استغرق أقل من عشرة دقائق. عندما أصبحت حالتها مستقرة، طلب الجراح من الممرضات أن يضعنها على الترولي ويأخذنها مباشرة إلى غرفة العمليات. كان هناك جراح زائر آخر في المستشفى في ذلك اليوم، إشتغل في إحدى الغرفتين بينما إثنان من ممرضات الجراحة الأفريقيات كانتا تشتغلان في الغرفة الأخرى. كلا الفريقين كانا يعملان على حالات طوارئ، لذا لزم أن الشابة تنتظر دورها. سار زوج الشابة وراء الترولي ووقف عند الباب وعلامات القلق والخوف ظاهرة عليه.

بعد ذلك بنصف ساعة، أنتهينا من الكشف على بقية مرضى الجراحة بالعيادة و ذهبت بعجلة إلى جناح العمليات لأرى ما يمكن أن أقدمه من مساعدة. لبست بالطو العمليات بسرعة ودخلت صالة الإنتظار خارج غرف العمليات. كانت الشابة لم تزل تنتظر دورها. فوجئت أنه لا يوجد أحد يلاحظها هناك. عندما إقتربت من الترولي، استرعى انتباهي، سكونها التام. قد يكون شخص ما فصل المحلول عنها بالخطأ، لذا شغلته مرة أخرى. كانت تبدو أنها نائمة، كانت رأسها مسندة إلى جانبها. حين لمستها، كانت غمامة من الحزن تخيم فوقي. لقد فات الأوان! راحت الشابة، وهي في مقتبل العمر، تكلمنا معها أقل من عشرين كلمة، لا شئ منهم ينفعها الآن. كل مرة أتذكر فيها الموت المأساوي لتلك الشابة وهي وحيدة في صالة الإنتظار، يكتنفي حزن تلك اللحظات الثقيلة.. إنها ليست ضحية خطأ شخصي ما، ربما لا تنجو من الجراحة أيضاً. كل شخص عمل ما يمكن أن يعمله لكن قلة الأيدي العاملة بشكل مزمن في المستشفى هي التي جعلت الفريق الجراحي لا يستطيع أن يعمل كلّ شيء يريده. الطامة الكبرى التي طالتنا جميعاً ومنهم أنا أنه لم يقوم أحدنا بالحديث مع هذه الشابة عن المسيح، لقد فاتنا الأوان جميعنا.

التحذير المهيب

قبل موت المسيح على الصليب بأيام قليلة حذر المسيح تلاميذه في متى ٢٥ بهذا التحذير المهيب: « متى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على

كرسي مجده. ويجتمع امامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لاني جعت فاطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريبا فأويتموني. عريانا فكسيتموني. مريضا فزرتموني. محبوسا فأنتم الي. فيجيبه الابرار حينئذ قائلين. يا رب متى رأيناك جائعا فاطعمناك. او عطشانا فسقيناك. ومتى رأيناك غريبا فأويتناك. او عريانا فكسوناك. ومتى رأيناك مريضا او محبوسا فأتينا اليك. فيجيب الملك ويقول لهم الحق اقول لكم بما انكم فعلتموه باحد اخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم: ثم يقول ايضا للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس وملائكته لاني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. كنت غريبا فلم تأوونني. عريانا فلم تكسوني. مريضا ومحبوسا فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم ايضا قائلين يا رب متى رأيناك جائعا او عطشانا او غريبا او عريانا او مريضا او محبوسا ولم نخدمك فيجيبهم قائلا الحق اقول لكم بما انكم لم تفعلوه باحد هؤلاء الاصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء الى عذاب ابدى والابرار الى حياة ابدية « (مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦)

سمعت بعض العظات الغربية في هذا الجزء والتي تقول ما يعني أن تذكرة الدخول إلى السماء ليس إيماننا بشخص المسيح وعمله على الصليب. على سبيل المثال، يبدو أننا قد حصلنا على تذاكر دخول السماء لأننا سقينا العطاشى، وأضفنا الغرباء، وكسونا العرايا، ورحمنا المرضى والفقراء وزرنا المساجين. مفترضين أنه بقدر ما تكثر أعمال الرحمة يكون خلاصنا أعظم وإذا لم نعمل هذه الأشياء، فسنجلب لأنفسنا مكان متميز في الجحيم. هذا أبعد ما يكون عن الحق! قال المسيح للفريسيين: «..تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله « (مت ٢٢ : ٢٩). القاعدة الصحيحة فيما يتعلق بعلم اللاهوت أن كلّ أقوال الله في الكتاب المقدس عن موضوع معيّن هو الحق الكامل له، ليس فقط الأجزاء التي نستحسنها.

أقتبس فقط أربعة آيات جوهرية من بين آيات عديدة بشأن "ما يتطلبه خلاصنا":

١. « واما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطانا ان يصيروا اولاد الله اي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (يو ١ : ١٢ ، ١٣)
٢. « لانك ان اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك ان الله اقامه من الاموات خلصت « (

٣. « اجاب يسوع وقال له الحق الحق اقول لك ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت الله. » (يو ٣ : ٣)
٤. « لانكم بالنعمة مخلصون بالايمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله .ليس من اعمال كي لا يفتخر احد » (أف ٢ : ٨ ، ٩)

إن كنا نؤمن أن أقوال الكتاب المقدس هي حق ، إذا ليس هناك احتمال أن يحصل شخص على غفران خطاياهم بإطعام الجوع، أو مساعدة المرضى، أو كساء العرايا، أو زيارة السجناء . إذا السؤال الذي يطرح نفسه هنا ؛ ماذا يريد المسيح أن يقوله لتلاميذه في أصحاح ٢٥ من إنجيل متى؟

إختبار "شرائط عباد الشمس" 'Litmus test'

المسيح لم يكن يقدم عقيدة جديدة في متى ٢٥، لكنه بمثابة "إختبار معلمي" للإشارة إلى ما ينتجه الإيمان الحقيقي . إختبار عباد الشمس هو ورق معالج كيمياويا يتغير لونه على حسب حموضة الوسط الذي فيه . بنفس الطريقة ، أعمال الرحمة تجاه الآخرين ليست وسيلة توصل الإنسان إلى السماء، لكنها دليل على أن هذا الشخص ولد فعلا من الله . كان المسيح يريد أن يقول في هذا الجزء أنه إن إفتقرت حياة شخص يدعي أنه تلميذ للمسيح لهذا النوع من الرحمة العاملة فهذا دليل على أنه لا يمتلك روح المسيح.

هذا يثير في الحال السؤال التالي؛ ما الذي يجعلنا نظن بأنه يمكننا أن ندين شخص آخر بينما تعلمنا كلمة الله بصورة واضحة أن لا نفعل ذلك؟

قال المسيح لتلاميذه : « لا تدينوا فلا تدانوا . لا تقضوا على احد فلا يقضى عليكم . اغفروا يغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧) . في متى ٢٥ ، لم يكن المسيح يشجع تلاميذه على للحكم على الآخرين، لكن للحكم على أنفسهم . إذا ادعوا أنهم مؤمنين دون أن تظهر ثمار الروح من الرحمة فسيأتي يوم يقول لهم أنه لا يعرفهم لكن لم ينتجوا الفاكهة الروحية للرحمة، على يوم الحساب، هو لا يعرف حتى بأنه عرفهم .

في وقت أو آخر كنا أحد أولئك الناس الذين يتكلمون كثيراً بلا عمل ، وقابلنا مثلهم . هل مثل

هؤلاء مؤمنون حقيقيين؟ هل نحن كذلك؟ ماذا عن مشاهير وكبار فاعلي الخير في عالمنا، أغلبهم لا يعترفوا بأفواههم بالمسيح رباً ولا يؤمنون في قلوبهم أن الله أقامه من الأموات (رومية ١٠ : ٩) حديث الرب في متى ٢٥ كان بمثابة إختبار شرائط عباد الشمس لإختبار الإعتراف المعلن عما إن كان الإيمان حقيقياً وليس إدعاء بالانتساب وأنه لابد أن ينتج ثمراً. كان كلام يوحنا المعمدان يتوافق مع ما قاله المسيح حينما قال: « اصنعوا اثمارا تليق بالتوبة. ولا تبدئوا تقولون في انفسكم لنا ابراهيم ابا لانني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابراهيم .والآن قد وضعت الفاس على اصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار» (لو ٣ : ٨ ، ٩)

قال المسيح :« اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدا . او اجعلوا الشجرة رديّة وثمرها رديّا . لان من الثمر تعرف الشجرة» (مت ١٢ : ٣٣)

هذه لا يعني بأن كنائسنا عليها أن تسرع في عمل برنامج تعريف للأشجار الرديّة ثم يقومون بقطعها من وسط الكنيسة لكنه يعني، على أية حال، أن الله أعطانا إمكانية على التمييز والحكم على نفوسنا و كنائسنا . ربما يستخدم هذا المبدأ كوسيلة قياسية عند إختيار القادة.

إختبار شرائط عباد الشمس هذا (في متى ٢٥) يكشف عما إن كان الروح القدس موجود في حياتنا . إنها ليست إختبارات تبين إستحقاق الشخص للسماء . عندما نصادف مؤمناً لا يظهر الرحمة في حياته يجب أن نسمي ذلك خطية ونواجهه باتضاع ولطف وصراحة لما علم المسيح به تلاميذه. نفس الشيء بالنسبة للكنائس التي تدّعي أنها ممتلئة بالروح لكن ليست فيها أحشاء رافة نحو المتألمين من حولهم أو الذي يحضرون إجتماعاتهم. هل الناشط الحقوقي الذي يظهر الرحمة في حياته يعني أنه مؤمن بالمسيح؟ الجواب وفقاً للكتاب المقدس "لا." لكن إن اعترف مثل هذا الشخص بغمّه أن المسيح رب ويؤمن بقلبه أنه قام من الأموات، علينا أن نقبله أخاً لنا في الإيمان.

الكنيسة التي بلا أحشاء رافات

إنّ التقارير التي تصف العنف السياسي في كينيا بعد الصراع على الإنتخابات الرئاسية سنة ٢٠٠٨، كانت مفجعة. صديق لي كان موجوداً في مستشفى مرسلي في كينيا أثناء تصاعد العنف كتب:

ما جريمتهم؟ إنهم من القبيلة الخاطئة وقد "تطهروا عرقياً"، "الحشائش الضارة قد قطعت.... العديد من العبارات الدبلوماسية كانت متداولة بشأن ما يحدث هنا و التي لا تصف الحقيقة من حرق بيوت وقتل بدم بارد وذبح بالمناجل وامتلاء مستودعات بالجثث الجماعية حتى لا تعطى الفرصة لعائلاتهم أو قبائلهم لإثبات أو مطالبة. ذهبت أمس، مع فريق من مستشفى إلى مخيمات الإيواء قرب مدينة نايفاشا حيث من أسبوع مضى كان أحد شواطئ بحيرات وادي ريفت الجميلة مسرحاً لإشرس وأرهب إشتباكات شهدتها حرب قبلية.

خاصة في بلدة كيكيو، إذا كنت من جنس اللوو (أو أحيانا الكالينجين) فهذا سبب كافي لك أن تقتل. هذه الحقيقة لا تشفع في الدفاع أنكم يوماً ما عشتم معاً وصليتم معاً، أو عملتم معاً أو لعبتم معاً. فرّ قطيع اللاجئين إلى حدائق السجن الوطني ومراكز الشرطة طلباً للأمان. تجمع الآلاف اليوم بكل ما استطاعوا أن يخرجوا به من متاعهم أو الأشياء المنزلية وهم يجهلون ما يصادفهم في المستقبل الكئيب. أعداد هائلة من اللاجئين، على أقل تقدير جاء ما يقرب من ٦,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ شخص في ثلاثة معسكرات رئيسية، نبتوا فجأة وملأوا الأرض القاحلة خلال الإسبوع الماضي فقط. رغم أن المعسكرات لم يكن بها مظلات تقي من المطر ولا تغيث من نار الشمس الإستوائية الحارقة.

كان الغذاء شحيحاً أو قل منعدماً. البطانيات قليلة جداً والناس يرتدون طبقات متعددة من الملابس بقدر ما يملكون، في محاولة لحماية أنفسهم من البرد القارس ليلا في المرتفعات الكينية. ويجري نقل المياه بواسطة شاحنات نقل بكل عناية. الصرف الصحي غير كافي بالمرّة إلى أن تم حفر بعض المراحيض أخيراً، كانوا يقضون حاجتهم أينما وجدوا قدر ما من الخصوصية. هذا ما يتعلق بالصحة العامة والكارثة الاجتماعية. في مركز الشرطة، ٢,٠٠٠ لاجئ إفترشوا الأرضية الصغيرة المكدسة هناك.

أوفر اللاجئين حظاً، أولئك الذين لجأوا لحطام السيارات القديمة المكومة هناك بعد إحتجازها بسبب حوادث المرور، وأنهم ممتنون من أجل هذا المأوى.

٨٠% من الكينيين يعترفون بأنهم مسيحيين. نسبهم متساوية تقريباً بين القبائل المختلفة. يمكنني الخروج بنتيجة من إثنين. الأولى؛ هو أن المسيحيين شاركوا في أعمال العنف والكرهية. البديل الآخر هو أنهم كانوا صامتين. هل يصعب على الأغلبية التي تمثل ٨٠% أن تضع حداً لأعمال الأقلية التي تمثل ٢٠% (الأكثر عنفاً على سبيل الإفتراض) إن قرروا القيام بذلك "

أين كانت الكنيسة أثناء هذه الأحداث الرهيبة؟ كان هناك بعض المسيحيين الشجعان الذين حاولوا إنقاذ أصدقائهم، ولكن بالنسبة للقطاع الأكبر، لم تنزل الأغلبية الساحقة من "المسيحيين" في كينيا "صامتة"، بل في أحوال كثيرة شاركوا بالفعل في عمليات القتل. عندما اجتاز مسيحيو كينيا

الإمتحان لم تكن ثمرة الرحمة واضحة في حياتهم. ما أقل ما يفعله الأغلبية في مجتمعاتنا أو أحياناً لا يفعلون شيئاً لمساعدة الفقراء أو المشردين. حتى لو وضعت كنائسنا برامج للوصول إلى أولئك المساكين، فعدد قليل جداً من أعضاء كنائسنا على استعداد للخدمة مجاناً، ما خلا المتطوعين أو المتبرعين بأموالهم لمساعدة الآخرين.

أين الكنيسة عندما جاءت امرأة إلى مستشفى مسيحي في أفريقيا بعد أن اشتد عليها مخاض الولادة ورفضوا إجراء عملية لها حتي تدفع عائلتها المبلغ المطلوب؟ بينما كانت أحشائها تتمزق في داخلها وجنينها يموت تدريجياً في بطنها وتنزف حتى الموت كانت الممرضات المسيحيات تتردشن وتضحكن معاً دون مبالاة بتلك الأم الشابة التي تحتضر على بعد أمتار منهم.

أنا لم أخلق هذه الحوادث. ما الذي يبرهن عن وجود روح الله فيهم؟ ولماذا أذهب بعيداً، لنرى ما يجري في أمريكا؛ أين الكنيسة عندما يجهض كل سنة مليون طفل، لأنهم فقط على غير رغبتنا أو لأن حملهم جاء في وقت غير ملائم. ألا يطلب دمهم من أيدينا؟ أين الكنيسة حينما تجبر بنات مراهقات سنة بعد أخرى على الختان في مراسيم عامّة، بينما يصمت المسيحيون في تلك المجتمعات؟ أين شعب الله عندما رفض طبيب مسيحي معالجة ولد لأن العائلة لم تكن قادرة على دفع ثمن معالجته، والطبيب مع أنه عضو معتبر في الكنيسة المحليّة لكن لم تتحرك أحشائه وترك العائلة تدبر المبلغ المطلوب؟

أين الرحمة عندما يعظ مرسل أو قسيس بالإنجيل لعقد من الزمان، بينما يوجد في ظلّ الكنيسة هناك من يعيشون في بيوت الصفيح و ليس لهم قوت الحياة وبشربون من ماء ملوث، بلا رعاية صحية وبلا مدارس؟ هل قصر الله في توفير الموارد اللازمة؟ هل طلب قادة الكنيسة من الرب

سد هذه الحاجات؟ هل يمكن أن تمتلئ كنائسنا بالرحماء الذين يمدون يد العون للجياع والفقراء واليتامى والأرامل أم أنها نوعية من الكنائس التي تجلب العار على اسم المسيح الذي دعي عليهم؟

«لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخو هو مكرهة لي. راس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست اطيع الاثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم واعيادكم بغضتها نفسي. صارت علي ثقلا. مللت حملها فحين تبسطون ايديكم استر عيني عنكم وان كثرت الصلاة لا اسمع. ايديكم ملانة دما. اغتسلوا تتقوا اعزلوا شر افعالكم من امام عيني كفوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير اطلبوا الحق انصفوا المظلوم اقصوا لليتيم حاموا عن الارملة.» (إش ١ : ١٣-١٧)

في (أشعيا ٥٨) يوبخ الله شعبه على التقوى الزائفة فيقول: «اليس ان تكسر للجائع خبزك وان تدخل المساكين التائهين الى بيتك. اذا رأيت عريانا ان تكسوه وان لا تتعاضى عن لحمك حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتتبت صحتك سريعا ويسير برك امامك ومجد الرب يجمع ساقتك. حينئذ تدعو فيجيب الرب» (إش ٥٨ : ٧-٩)

أقرن الرب شعبه بشعب سدوم في حديثه مع حزقيال النبي : « هذا كان اثم اختك سدوم الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الاطمئنان كان لها ولبناتها ولم تشدد يد الفقير والمسكين» (حز ١٦ : ٤٩)

إن كنا نصدق ما قاله يسوع في (مت ٢٥ : ٣١-٤٦) فالكنيسة التي لا تصل إلى أولئك المتألمين بمساعدة عملية وبالإنجيل لم تعد هذه الكنيسة في توافق مع من دعي اسمه عليها. أي نوع من الكنائس هي التي لك؟ أي نوع من الرحمة تظهرون؟ هل تثمر بالرحمة في حياتك وأعمالك؟ تعاليم المسيح الواضحة تبين أنه حيثما غابت الرحمة، غابت القداسة معها.

الفصل الحادي عشر

رجاء العالم

«قال الجالس على العرش ها انا اصنع كل شيء جديدا .وقال لي اكتب فان هذه الاقوال صادقة وامينة . ثم قال لي قد تم .انا هو الالف والياء البداية والنهاية . انا اعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا .من يغلب يرث كل شيء واكون له الها وهو يكون لي ابنا.»(رؤ ٢١ : ٥-٧)

التكليف الصعب

وصية يسوع الأخيرة كانت تكليف للكنيسة لتوصيل رحمة الله إلى كل شعوب العالم، بصرف النظر عن التكلفة. كان أمراً كبيراً ومتسعاً جداً وبعد مرور ٢٠٠ سنة لم يزل ينجز ولم ينتهي. وذلك التكليف الأخير مدون في الأربعة أناجيل وسفر الأعمال. هكذا ذكره متى: « فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً .دفع اليّ كل سلطان في السماء وعلى الارض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به .وها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر .آمين» (مت ٢٨ : ١٨-٢٠)

ومرقس سجله على هذا النحو: «وقال لهم اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها، من آمن واعتمد خلص .ومن لم يؤمن يدين» (مر ١٦ : ١٥) ولوقا الطيب تكلم لشهود كثيرين وسجلها كما يلي: «وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي ان المسيح يتألم ويقوم من الاموات في اليوم الثالث وان يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الامم مبتدأ من اورشليم.»(لو ٢٤ : ٤٧) والرسول يوحنا كتب: « فقال لهم يسوع ايضا سلام لكم .كما ارسلني الآب ارسلكم انا»(يو ٢٠ : ٢١) وفي أعمال الرسل نقراً إقتباس الرسول بولس من سفر إشعياء عن المسيا: « قد اقمتهك نورا للامم لتكون انت خلاصا الى اقصى الارض »(أع ١٣ : ٤٧)

« فقال قليل ان تكون لي عبدا لاقامة اسباط يعقوب ورد محفوظي اسرائيل .فقد جعلتك نورا للامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض» (إش ٤٩ : ٦)

تعريف إرسالية الكنيسة

منذ وقت مضى، حضرت مؤتمر عن مرض الأيدز في كنيسة مسيحية ضخمة جدا. دام المؤتمر لثلاثة أيام، وقد تميز بمشاركة عدد من المتكلمين المشهورين. كانت اللقاءات مُعدة إعدادا جيدا وغنية بالمعلومات المفيدة. جاء الناس من جميع أنحاء العالم ليتعلموا ويتواصلوا مع الآخرين الذين يشتركون معهم في خدمة أعمال الرحمة . أثناء اليوم الأول، سمعنا وعظ وتعليم عظيم عن حاجة المسيحيين أن يمارسوا أعمال الرحمة، خصوصا تجاه أولئك المساكين الذين يعانون من مرض الأيدز. سمعنا قصص شيقة تحكي عن أفراد وكنائس ابتكروا طرقاً جديدة وجميلة لمساعدة أولئك المصابين بهذا المرض.

يشمل ذلك إصلاح بيوت مرضى الإيدز ودفع رسوم مدارس أولادهم وتوصيلهم للأطباء في مواعيد الزيارات المحددة لهم أو في حالات الطوارئ وتوفير غذاء صحي للعائلة كلها و مراعاة التأكد أنهم يأخذون العلاج بانتظام وبشكل صحيح. المحبة والرحمة التي تقدم لأولئك المساكين تكرم الله وترفع اسمه. لكن في صباح اليوم الثاني، بدأت أشعر أن شيء ما مفقداً. قلت لعدد من الزملاء الذين حضروا أنني لاحظت أنه لم ترد أي إشارة على الإطلاق عن الحاجة لإعلان إنجيل المسيح إلى أولئك المساكين، ووافقوني في ذلك وافترضوا أنهم لم يتعرضوا لهذا الجانب على الأرجح بسبب ضيق الوقت وأنه من الصعب تغطية كل شيء لكن الموقف المبدئي الذي يجب التذكرة بشأنه هو أن نتجه بالحب لتسديد احتياجات أولئك الناس. لم أكن أتفق تماماً مع هذا الرأي لكن كان هناك إفتراض آخر مطروح وهو ان موضوع المشاركة بالإنجيل مع الآخرين أمر بديهي ومفروغ منه لا يحتاج أن يطرح أمام الحاضرين لأنه وارد على كل بال مثل "ماء المحيط تحت جسم السفينة" والجميع يدركون أهميته وضروريته وألويته في كل العمل. البعض

الآخر يرى أن فتح موضوع مثل هذا قد يثير جدلاً وعترة لبعض المشاركين نظراً لحضور أشخاص من خلفيات دينية أخرى قد يزعجها هذا الأمر.

مع حلول اليوم الثالث والأخير، كان أفراد مجموعتنا قد قلقوا تقريباً من عدم سمع أي شيء تقريباً عن الكرازة لاولئك الذين نظهر لهم المحبة ونساعدهم بطريقة عملية.

تطور قلقنا إلى فزع حينما قيلت بعض العبارات من قبل المنظمين لهذا اللقاء والتي تعتبر كأعمدة رئيسية لمبادئهم، ولا يحتاجوا إلى أي مؤهلات خاصة. أولاً: "الكنيسة هي رجاء العالم" ثانياً: "إنها مسؤولية الكنيسة حول العالم أن تحارب وباء الأيدز!" "كلتا البيانين تبعهما التصفيق المرتفع المتواصل. جلست بدون تصفيق، وسط حشد من المؤيدين، يقرب من ثلاثة ألف شخص، كنت مذهولاً من الكلمات التي اسمعها. قلت في نفسي أي كنيسة هذه التي نتكلم عنها؟ كنيسة المسيح العامة في كل العالم وقفت مؤازرة للكنائس المحلية للشعب الأفريقي لتعلن أن إرساليته هي محاربة الإيدز.

إن صحَّ هذا الكلام عن الكنائس التي لا يؤهل من فيها سوى كونهم مؤمنين بالمسيح أن ينتظر منها ذلك فهذا معناه أن العالم أمام مشكلة جدية. أضف إلى ذلك إرسالية الخلاص من الإيدز، تجعل الواحد يجب أن يراجع نفسه و يتسائل عما إن كان المسيح قد أخطأ في صياغة وصيته الأخيرة لتلاميذه "أن يتلمذوا جميع الأمم" كما ورد في خاتمة إنجيل متى (مت ٢٨: ١٩-٢٠) (إذا كانت إرساليتنا الجديدة أن نستأصل الأيدز، ثم تتطور وتتسع إرساليتنا بالتبعية لتشمل الخلاص من كل بلايا العالم الكبرى، كالملاريا، والسلّ الرئوي، الحروب الأهلية الدائرة هنا وهناك، الكراهية بين الفلسطينيين واليهود، وإغتصاب الآلاف من النساء في شرق الكونغو.

ليس لدي شكّ أن الله جعل لكنيستته أدوار هامة جداً للقيام بها، على سبيل المثال؛ أن يكونوا نور للعالم وملح للأرض. لكن أين طلب المسيح من تلاميذه أن يركزوا كل جهودهم ومواردهم ومواهبهم من أجل حل مشكلات العالم العويصة؟. مرة عبر التاريخ حاول مسيحيو الغرب أن يفعلوا ذلك باسم الكنيسة فأطلقوا ما دعي " الحملات الصليبية" لتحرير القدس من يد العرب. إن العبارة القائلة أن " الكنيسة هي رجاء العالم " صحيحة فقط إن كانت الكنيسة طائفة لوصايا وتعاليم المسيح ونموذج حياته الذي تركه مثلاً لنتبعه وإن قدمت إلى العالم، شخص المسيح الذي هو رجاء كل إنسان. لكن إن استخدم هذا المبدأ كنقطة إنطلاق للمشاريع التي تطهر العالم من البلاوي الكبرى فهذا يجعل كنيسة المسيح تثبتُ بعيداً عن الدور الفريد والرحيم وهو إعلان المسيح

وإنجيله لشعوب العالم. غمرة حماسنا أن نعمل شيئاً رحيماً وممتدحاً من العالم بالمجهدات الإنسانية، يجعلنا نجازف بالإنحراف عن قصد الله الحقيقي لوجود الكنيسة في العالم.

أشار الرسول بولس في الرسالة إلى مؤمني كولوسي عن أهمية الكنيسة، لكن يشجع المؤمنين هناك ليضعوا رجائهم في رأسهم الممجد وهو الرب يسوع المسيح. في (كو ١ : ١٨) يقول « وهو راس الجسد الكنيسة » ثم في الآيات من ٢-٤ من الأصحاح الثاني يقول: « لكي تتعزى قلوبهم مقترنة في المحبة لكل غنى يقين الفهم لمعرفة سرّ الله الأب والمسيح المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم. وانما اقول هذا لئلا يخدعكم احد بكلام ملق. » و في آية ٩ « فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا » لم ترد إشارة واحدة في العهد الجديد نفهم منها أن رجال الدين في الكنيسة لهم الحق في تغيير التوجه الأساسي للكنيسة وهو ما نطلق عليه "الإرسالية العظمى".

أثق أن الله له عمل عظيم ورائع لتتجزه الكنيسة في العالم قبل مجيء المسيح ثانية. قال المسيح لتلاميذه: « انتم نور العالم .لا يمكن ان تخفى مدينة موضوعة على جبل» (مت ٥ : ١٤) قائمة ما يمكن أن تقدمه الكنيسة من متطوعين و موارد لخدمة المتألمين في العالم لا حدود لها تقريباً. لكن ما الذي يعطيه الله أولوية ؟ أليس هو إتمام إرسالية (التي تأخرت كثيراً) توصيل إنجيل المسيح لكل شعب ولسان وقبيلة لإكمال المهمة المتأخرة طويلا لحمل إنجيل السيد المسيح إلى كلّ أمة وقبيلة في العالم، بطريقة تمتزج فيها قوة الله بضعفنا؟

في اليوم، الذي يعلن فيه الإنجيل لآخر قبيلة وشعب على الأرض، سيكون المسرح معداً لعودة الملك الشرعي للعالم. هكذا قصد الله لكنيسته أن تكون رجاء العالم! عندما تقدم للعالم رجاء البائسين وهو المسيح . المسيح هو الرأس الشرعي للكنيسة، وهو، مسؤول عن هذا المشروع العظيم، ونحن يديه وقدميه التي تخضع له. شهد يوحنا المعمدان عن المسيح قائلاً: « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١ : ٢٩). وشهد المسيح عن نفسه: « وكما رفع موسى الحياة في البرية هكذا ينبغي ان يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية» (يو ٣ : ١٤) وأيضاً « الأب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده الذي يؤمن بالابن له حياة ابدية » (يو ٣ : ٣٥) يقول المسيح مخلصنا المقام من الأموات: « أنا هو الالف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء» (رؤيا ١ : ٨)

إن حمل الله هو وحده الذي فيه رجاء العالم، ونحن شركائه في توصيل هذا الرجاء للبائسين والضاكين في العالم. لهذا وجب علينا أن نخبر المرضى والمحتضرين والمنبوذين والجياع، والفقراء والعطشى، والمشردين، والسجناء أن المسيح يحبهم ويتوق أن يجعلهم أولاداً لله. ، حسناتنا بدون المسيح لا تساوي شيء.

كتب جون ستوت ما يلي عن التعليم الأكمل للكنيسة: المؤمنون من الكنيسة من ناحية، هم " مختارون من العالم "، اي مدعويين من العالم ليكونوا لله . لكن من ناحية أخرى هم "مرسلون إلى العالم" " بمعنى أن عليهم مسئولية الذهاب للعالم من أجل الشهادة والخدمة. ما أقل المرات التي يتذكر فيها المؤمنون في كل تاريخ الكنيسة هذين الوجهين لهوية المسيحي في العالم.

أحياناً، مع التشديد على موضوع "التقديس" يتطرف البعض إلى حد الأنعزال عن العالم تماماً و في أوقات أخرى، مع التركيز على "الإرسالية إلى العالم" يستغرق البعض في الإختلاط بالعالم وينزلقوا في سلكه ويتأثروا بمعاييره ويتلوثوا بمبادئه. بدون التوازن بين هذين الأمرين لا يمكن للكنيسة أن تقوم بدورها المرسلي في العالم لكن هذين الجانبين يجعلنا للكنيسة تحتفظ بهويتها الصحيحة، من ناحية تجعلها مخصصة وأمينه للمسيح ومن ناحية أخرى هي شاهدة له في العالم.

الرجاء الأخير للعالم اليوم ليس العروس بدون عريسها، لكن الكنيسة مع المسيح! لهذا كنيسة أمريكا الشمالية، بكل أموالها، وجيوش المتطوعين فيها، لا يمكن أن تكون رجاء العالم. رجاء العالم الوحيد الآن ودائماً هو شخص الرب يسوع المسيح، حمل الله ورأس الكنيسة. تركيزنا على إنجاز إرسالية الرحمة التي دعانا الله لها يجب ألا تعطلها الكوارث التي تضرب العالم بل على العكس إنها تحفزهم أكثر على مد يد العون لأولئك المنكوبين والمتألمين والبائسين مهما كلف الأمر من تضحيات وآلام.

العالم يريدنا أن نكون صامتين من جهة الإنجيل ويقاوم شهادتنا للمسيح لكن ينبغي ألا نرضخ أبداً ولا نتجاهل هذا الأمر من إرساليتنا.

بالعكس، إن محبتنا تلزمنا أن نتكلم عن يسوع لكل إنسان يعيش على هذا الكوكب.

يجب أن لا نستسلم أبداً، ولا نياس، وفوق الكل لنحترص ألا نعقد صفقة مع التتبن! إذا كنا ننوي إتمام إرساليتنا إلى العالم فسنحتاج أن تمتليء حياتنا من قوة روح القدس و تمتليء كنائسنا

بحضور الرب، ونعيد ترتيب أولوياتنا. الله لم يدعونا لنستهلك أنفسنا في مجهودات عقيمة لا تخلص العالم، لكنّه دعانا لنحمل نوره إلى العالم، برحمة ومحبة وقوة، ونقدم المسيح لكل إنسان أينما كنا. هذه هي الرحمة كما ينبغي أن تكون بالحق. هذه هي الرحمة المسيحية.